أرسين لوبين

الفخ الرهيب



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الفخ الرهيب

(٥٢)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

القسم الأول
المصباح الفضي

الفصل الأول

جلس "شرلوك هولمز" والدكتور "وطسون" أمام الموقد في مكتب أولهما، ومددا أقدامهما التماسا لدفء النيران المتوهجة في الموقد.

كان غليون "هولمز" قد انطفأ فأفرغ رماده ، وملأه بالتبغ وأشعله ، وراح يدخن في هدوء ويرقب حلقات الدخان المتصاعد إلى السقف .. بينما تعلقت عينا "وطسون" بوجه صديقه ..

كان ينظر إليه في اهتمام وترقب ، كما ينظر الكلب إلى سيده بعينين مستديرتين لا يهتز لهما هدب ، في انتظار أية إشارة أو إيماءة ليسارع إلى تلبيتها .

وكان يسائل نفسه ، ترى هل سيخرج "هولمز" عن صمته ؟ وهل سيصارحه بما يدور بخلده ؟

ولكن "هولمز" لزم الصمت ، فقال "وطسون" ليغريه بالكلام :

- كل شيء راكد في هذه الأيام ، وليس ثمة أية قضية تشغلنا .

ولكن "هولمز" زم شفتيه ولم يتكلم .. كل ما هنالك أن حلقات الدخان ازدادت كثافة ، وتوالت بسرعة ، وخيل إلى "وطسون" أن صديقه يجد في التدخين في تلك اللحظة متعة لا ينعم بمثلها إلا من كان هادئ البال راضيا عن الحياة كل الرضا .

يئس "وطسون" من حمل صديقه على الكلام ، فنهض إلى النافذة وأطل منها ..

كانت السماء ملبدة بالغيوم الداكنة ، والأمطار تهطل في الخارج

بشدة ، والشارع مقفر إلا من مركبة تترنح في الطرق تحت وابل الأمطار.

وفجاة هتف "وطسون" .

- ها هو ذا موزع البريد ..

وبعد قليل ، فتح خادم "هولمز" باب الغرفة ودخل موزع البريد .

قال هذا الأخير :

- يوجد باسمك رسالتان مسجلتان يا مستر "هولمز" ، فهلا تفضلت بالتوقيع باستلامهما ؟

فوقع "هولمز" على السجل ، ورافق موزع البريد إلى باب الغرفة، ثم عاد أدراجه وهو يفض إحدى الرسالتين .. ويقرأ ما جاء بها .

قال "وطسون" بعد لحظة :

- يخيل إليّ أن هذه الرسالة تحمل إليك نبأ سارا ..

فاجاب "هولمز" :

- نعم ، إن مضمونها لا يخلو من الطرافة .. كنت منذ لحظة تتحدث عن القضايا .. وها هي ذي قضية تسعى إليك .. خذ واقرأ.

فتناول "وطسون" الرسالة وقرأ فيها :

سيدي ..

إنني أكتب إليك مستنجدا بمهارتك وخبرتك .. فقد كنت ضحية حادث سطو خطير ذهبت سدى جميع الجهود التي بذلت لإماطة اللثام عن غوامضه .

وقد بعثت إليك اليوم بالبريد مجموعة من الصحف التي كتبت عن الحادث ، وسوف تجد فيها مزيدا من التفصيلات .

فإذا وافقت على الاضطلاع بهذه القضية فإنني اضع قصري تحت تصرفك . كما اضع تحت تصرفك (الشيك) المرفق بهذا ، وقد وقعت عليه بإمضائي ، ولك أن تكتب فيه رقم المبلغ الذي تريده لنفقات سفرك إلى

باريس .

وفي انتظار برقية منك بالموافقة أو الرفض ، أرجو التفضل بقبول احترامي وتقديري .

الإمضاء

البارون "فكتور دامبلفال"

١٨ شارع "موريللو"

باريس

وما إن فرغ الدكتور "وطسون من تلاوة الرسالة حتى هتف "هولمز" :

- لقد جاءت هذه القضية في الوقت المناسب فإنني في حاجة إلى القيام برحلة قصيرة لشهود باريس ، خاصة وانه لم تتح لي فرصة لزيارة هذه المدينة الجميلة منذ معركتي المشهورة مع "أرسين لوبين"..

الحق إنني أرحب بهذه القضية لكي أشهد معالم العاصمة الفرنسية في ظروف هادئة خالية من متاعب الصراع مع ذلك اللص الخطير .

قال ذلك ومزق (الشيك) ، ثم فض الرسالة الثانية . ولكنه لم يكد يمر ببصره على سطورها ، حتى قطب حاجبيه وأتى بحركة تدل على الضيق والضجر ، ثم جمع الرسالة في قبضة يده حتى جعل منها شبه كرة قذف بها على الأرض .

فقال "وطسون" في هلع :

- ماذا حدث ؟

والتقط الرسالة ، ونشرها بين يديه .. وقرا فيها وعلامات الدهشة تزداد وضوحا في وجهه كلما أمعن في القراءة .

أيها الصديق العزيز .

لا شك أنك تعرف مبلغ إعجابي بك ، ومدى حرصي على سمعتك.. ولذلك أنصح لك بعدم الاضطلاع بالقضية التي طلب إليك أن تميط اللثام عن غوامضها ، لأن تدخلك سيؤدي إلى كثير من الأضرار ، ولأن

جهودك لن تسفر إلاّ عن نتائج تثير الرثاء ، وستضطر آخر الأمر إلى الاعتراف بفشلك الذريع ..

ولما كنت أشفق عليك من هذا المصير ، وأرغب رغبة مخلصة في أن أجنبك هذا الهوان ، فقد بادرت بالكتابة إليك ، لكي أستحلفك بحق ما بيننا من صداقة .. أن ترفض هذه القضية وتلزم مكانك الهادئ بجوار الموقد ..

تحياتي إلى الدكتور "وطسون" ، وأطيب تمنياتي لشخصك العزيز .

المخلص

"أرسين لوبين"

هتف "وطسون" وهو يقلب كفيه دهشة :

"أرسين لوبين" !!

فضرب "هولمز" المائدة بقبضة يده وصاح :

- لقد بدأ هذا الحيوان يضايقني ، إنه يسخر مني كما لو كنت طفلا.. إنه يشفق عليّ من الفشل !!! أرأيت أوقح من هذا ؟؟ ألم أرغمه على رد الماسة الزرقاء التي سرقها ؟؟

فقال "وطسون" :

- إنه يخشاك ، ويود أن ينحيك من طريقه ..

فصاح "هولمز" :

- كلام فارغ . إن "أرسين لوبين" لا يخشى أحدا . والدليل على ذلك انه يتحداني .

- ولكن كيف تعرف بأمر الرسالة التي بعث بها إليك البارون "دامبلقال" ؟

- وما أدراني !! إنك تلقي عليّ أسئلة غاية في السخف أيها العزيز .

- كنت أظن ..

- ماذا ظننت ؟ هل ظننت أنني ساحر ؟

- لا .. ولكنني رأيتك تأتي بالمعجزات .
- لا أحد يستطيع أن يأتي بالمعجزات .. كل ما أفعله أنني أفكر، وأحلل ، وأصل إلى النتيجة .. ولكني لم ألجأ إلى التخمين قط .. الأغبياء وحدهم هم الذين يفعلون ذلك ..
فاطرق "وطسون" برأسه ، بينما راح "هولمز" يذرع الغرفة جيئة وذهابا وعلى وجهه دلائل الغيظ والضيق .
وبعد قليل ، دق "هولمز" الجرس ، وأمر خادمه أن يعد حقيبته .
فكر "وطسون" في الأمر ، وهداه تفكيره إلى أن صديقه لابد أنه أزمع السفر ، فقال يحدث صديقه :
- هل صح عزمك على السفر إلى باريس يا "هولمز" ؟
- ربما .
- وهل أفهم من ذلك أنك قبلت تحدي "لوبين" ، كما قبلت قضية البارون "دامبلفال" ؟
- ربما .
- إذن فسأرافقك .
توقف "هولمز" عن السير وصاح :
- مهلا .. مهلا أيها الصديق .. ألا تخشى أن يكسر "لوبين" ذراعك اليمنى كما كسر ذراعك اليسرى في معركتنا الأخيرة ؟
- وكيف أخشاه وأنت معي ؟!
- حسنا .. سوف نثبت لهذا المغرور أنه أخطأ حين ألقى القفاز في وجهي بمثل هذه القحة .. أسرع إذن وأعد نفسك للسفر بأول قطار ..
- ألا تنتظر ورود الصحف التي قال البارون إنه بعث بها إليك ؟
- لا ضرورة لذلك .
- هل أبرق للبارون لأنبئه بأنك قبلت القضية ؟
- إذا فعلت ذلك عرف "لوبين" أنني في طريقي إلى باريس والرأي

عندي أن نأخذ هذه المرة بأسباب الحذر والكتمان .

ووصل الصديقان إلى (دوفر) بعد ظهر ذلك اليوم .

وهناك عبرا (المانش) في ظروف ملائمة ، ثم استقلا القطار السريع من كاليه إلى باريس ، واستغرقت الرحلة ثلاث ساعات قضاها "هولمز" في نوم عميق ، بينما جلس "وطسون" بجانبه كالحارس الأمين .

استيقظ "هولمز" من نومه ممتلئا نشاطا وحيوية ..

كان مجرد التفكير في أنه سيلتحم مع "لوبين" في معركة حاسمة يملؤه مرحا وسرورا ، فراح يفرك كفيه في ارتياح كمن يتاهب لاستقبال الكثير من أسباب المتعة .

وفي محطة باريس ، حمل "هولمز" معطفه بينما حمل "وطسون" الحقائب ، وغادر الصديقان المركبة .

قال "هولمز" وهو ينظر إلى سماء باريس :

- إن السماء صافية ، والشمس مشرقة ، وكأن باريس تحتفل بمقدمنا .

فهتف "وطسون" :

- ما أشد الزحام !!

- هذا من حسن حظنا ، فسوف لا يعرفنا أحد وسط هذه الجموع .

على أنه ما كاد يفرغ من حديثه حتى سمع صوتا يقول :

- أهذا أنت يا مستر "هولمز" ؟

فجمد في مكانه وقد الجمته الدهشة .

ترى من ذلك الشيطان الذي يدعوه باسمه ؟؟

أجال الطرف حوله ، ورأى إلى جواره فتاة في مقتبل العمر ، ترتدي ثوبا عاديا ولكنه أنيق .

كانت ممشوقة القوام ، تكسو وجهها الفاتن مسحة ألم وقلق .

قالت مرة أخرى :

- أنت مستر "شرلوك هولمز" .. أليس كذلك ؟
ولكنه لزم الصمت ، لا عن حكمة وحذر ، وإنما عن دهشة وحيرة .
قالت الفتاة للمرة الثالثة :
- هل لي شرف الحديث مع مستر "هولمز" ؟
فصاح في ضيق وقد تملكته الريبة :
- ماذا تريدين مني ؟
وأراد أن ينحيها من طريقه ، ولكنها ثبتت أمامه وكأنما سمرت قدماها بالأرض :
- اصغ إليّ يا سيدي .. إن الأمر على جانب عظيم من الأهمية والخطورة .. إنني أعلم أنك الآن في طريقك إلى شارع "موريللو" ..
أقول : إنني أعلم أنك في طريقك الآن إلى شارع "موريللو" إلى المنزل رقم ١٨ .. ولكن يجب ألا تذهب .. أؤكد لك أنك سوف تندم .. لا تظن أنني أقول لك ذلك لغرض في نفسي أو لمآرب خاص .. كلا .. إنما أقول ذلك خدمة للحقيقة وإرضاء لضميري .
وللمرة الثانية حاول "هولمز" أن يبعدها من طريقه ، ولكنها قالت في إصرار :
- أرجوك يا سيدي .. لا تكن عنيدا .. أواه ، ليتني أعرف كيف أقنعك!! أنظر إليّ يا سيدي .. أنظر إلى عيني .. ألا ترى فيهما الصراحة والإخلاص ؟! ألا ترى فيهما الصدق
وحملقت إليه بعينيها الواسعتين الجميلتين .
كان فيهما سحر وحزن .
وخيل إلى الدكتور "وطسون" أن مثل هاتين العينين لا يمكن أن تكونا إلا مرآة صادقة لنفس صاحبتهما .. فهز رأسه وقال :
- يخيل إليّ أن الآنسة تتكلم بإخلاص .
فقالت متوسلة :

- نعم .. نعم .. ويجب أن تثقا بي .

فقال "وطسون" :

- إنني واثق بك يا آنسة .

- كم أنا سعيدة .. ولكن صديقك .. ترى هل يثق بي أيضا ؟ إنني أشعر بأنه يثق بك .. انا موقنة من ذلك .. يا للسعادة ؟! كل شيء سيكون على ما يرام .. يا لها من فكرة مجيدة تلك التي خطرت لي وجعلتني ابادر إلى لقائكما اصغ إليّ يا مستر "هولمز".. هناك قطار يغادر باريس إلى (كاليه) بعد عشرين دقيقة.. في استطاعتك أن تعود به .. تعال معي .. إن الطريق إليه من هنا ..وفي الوقت متسع لشراء تذاكر السفر .

وامسكت بساعد "هولمز" .. وحاولت أن تقوده إلى شباك التذاكر، ولكنه جذب ساعده بلطف ، وقال بصوت حاول أن يبدو رقيقا :

- معذرة يا آنسة .. يؤسفني انني لا أستطيع النزول على رغبتك .. فلم يحدث قط أنني انسحبت من مهمة بدأتها .

- أرجوك يا سيدي .. أتوسل إليك .. أواه ، ليتك تستطيع أن تفهمني .

ولكنه انحرف بعيدا عنها ، وواصل السير ، وقال "وطسون" يحدث الفتاة .

- لا تنزعجي يا بنية .. وثقي انه سيمضي في المهمة إلى نهايتها .. وسوف ينتصر .

وأسرع الخطى ليلحق بـ"هولمز".

الفصل الثاني

(الصراع الرهيب بين "شولوك هولمز" و"أرسين لوبين")

هذه العبارة ، بحروف كبيرة ، كانت أول ما وقع عليه بصر "هولمز" و"وطسون" عندما غادرا المحطة .

فقد مر أمامهما عشرة رجال يحمل كل منهم لوحة ضخمة نقش على أحد وجهيها العبارة آنفة الذكر ، وعلى الوجه الآخر هذه الكلمات .

"النضال بين "هولمز" و"ارسين لوبين" - وصول "هولمز" إلى باريس - البوليس السري الإنجليزي الكبير يحاول إماطة اللثام عن لغز شارع "موريللو" - اقرأ التفصيلات بجريدة "إيكودي فرانس" ".

وكان كل من الرجال العشرة ، يحمل لوحته على كتفيه ويمسك بيده عصا في طرفها قطعة من الحديد ، يدق بها الأرض بطريقة منتظمة .

انتظر "وطسون" حتى مر الرجال العشرة ، ثم هز رأسه في حيرة ودهشة وقال :

- ما معنى كل هذا يا "هولمز" !! كنت أظن بعد أن تنكرنا بهذه الدقة أن أحدا لن يشعر بقدومنا .. ولكن يخيل إليّ الآن أننا سنجد بشارع "موريللو" فرقة من رجال البوليس لتحيتنا والترحيب بنا .. ومن يدري فقد يعدون لنا استقبالا رسميا ويشربون الشراب نخب صحتنا .

فعض "هولمز" على ناجذيه ولم يجب .

وقرأ المارة اللوحات وابتسموا ، وراح بعضهم يرسل النكات سخرية من "هولمز" .

كظم هذا الأخير غيظه ، واقترب من أحد حملة اللوحات وسأله :

- متي استخدمت في هذه المهمة ؟

- صباح اليوم .

- ومتي بدأت السير في الشوارع ؟

- منذ ساعة .

- وهل وجدت اللوحة مكتوبة ومعدة ؟

- نعم . كانت مكتوبة ومعدة في شركة الإعلانات عندما ذهبت إليها صباح اليوم .

إذن فقد كان "لوبين" يعلم أن "هولمز" سيقبل التحدي وسيدخل المعركة. بل إن الرسالة التي بعث بها "لوبين" إلى "هولمز" تدل على أنه يريد هذه المعركة ويسعى إليها .

إنه يريد الالتحام بغريمه العتيد مرة أخرى .. ولكن لماذا ؟ وما الدافع له على استئناف النضال ؟ ترى هل ذلك جزء من خطة مدبرة !!

تردد "هولمز" لحظة ..

لابد أن يكون "لوبين" واثقا من النصر ، وإلا لما تحداه بهذه الجرأة ..

ترى هل ألقى "هولمز" بنفسه في الفخ حين لبى دعوة البارون "دامبلفال" دون تفكير ؟

ولكنه ما لبث أن هز كتفيه وهتف بصديقه :

- هلم بنا يا "وطسون" .

واستوقف إحدى المركبات وقال للحوذي :

- اذهب بنا إلى رقم ١٨ بشارع "موريللو" .

يحف بشارع "موريللو" صفان من القصور الفخمة ، يطل بعضها على حديقة "مونسو" المشهورة ، ومن أجمل هذه القصور وأروعها ، القصر الذي يحمل رقم ١٨ الذي يقيم فيه البارون "دامبلفال" وزوجته وأولادهما .

وقد استطاع البارون ، بما عرف عنه من سلامة الذوق وسعة الثراء أن يجعل من هذا القصر تحفة فنية رائعة .

وفي مقدم القصر فناء واسع يفصل بينه وبين الشارع وفي مؤخره حديقة مترامية الأطراف ، تتعانق أشجارها مع أشجار حديقة

"مونسو" .

اجتاز "هولمز" وصديقه الفناء الكبير ، ورافقهما الخادم إلى قاعة استقبال صغيرة في الطابق الأول تطل على الحديقة .

وكانت نظرة واحدة حولهما ، إلى الأثاث الأنيق والتحف واللوحات الفنية التي تزين المكان ، كافية لإشعارهما بأن البارون لابد وأن يكون من أصحاب الملايين .

قال الدكتور "وطسون" وهو يدور ببصره في جوانب المكان

- كل شيء هنا يدل على سلامة الذوق وسعة الثراء .. وليس من العسير على المرء أن يلاحظ أن أولئك الذين وجدوا من وقتهم متسعا لجمع هذه التحف والمقتنيات الثمينة .. لابد أن يكونوا في سن معينة.. في الخمسين من العمر مثلا .

على انه قبل أن يتم عبارته ، فتح الباب ودخل البارون "دامبلفال" تتبعه زوجته .

وخلافا لما استنتجه "وطسون" ، كان الزوجان في مقتبل العمر ، وعلى جانب عظيم من الوسامة والأناقة ، وقد رحبا بضيفيهما بحرارة . وعبرا عن شكرهما بعبارات متناهية في الرقة .

قال البارون يحدث "هولمز" :

- الحق إنني عاجز عن شكرك لما تكبدت من متاعب ومشاق من اجلنا، وإني احمد للحادث الذي وقع لنا انه هيأ لنا شرف الاستمتاع بلقائك و ..

فكر "وطسون" : يا إلهي .. ما ارق هؤلاء الفرنسيين !!!

واستطرد البارون قائلا :

- على أن الوقت من ذهب .. وخاصة وقتك أنت يا مستر "هولمز".. وإذا شئت فإننا نبدأ الحديث في الموضوع فورا .. فما رأيك في هذه القضية يا مستر "هولمز" .. وهل ثمة أمل في إماطة اللثام عن خباياها؟

فاجاب "هولمز" :

- لكي أميط اللثام عن خبايا موضوع ما . يجب أولا أن أعرف تفصيلاته .

- ألم تقرأ التفصيلات ؟

- نعم .. لم أقراها .. وأرجو أن تسرد عليّ الموضوع في وضوح وبلا خبيئة .. فما هو ؟

- إنه حادث سرقة .

- ومتى وقعت هذه السرقة ؟

فاجابه البارون :

- في ليلة الأحد الماضي .

- أي منذ ستة أيام ؟ حسنا .. إنني مصغ إليك ..

- يجب أن أقول لك أولا يا سيدي : إنني وزوجتي ، على الرغم من اننا نعيش الحياة التي تلائم مركزنا الاجتماعي ، فإننا قلما نغادر هذا القصر .. والواقع أن حياتنا تتلخص في الإشراف على تربية أولادنا والاهتمام بتجميل قصرنا ، واستقبال بعض الأصدقاء بين وقت وأخر . وفيما عدا ذلك فإننا نقضي أكثر أمسياتنا هنا في الجناح الخاص بزوجتي حيث نحتفظ باهم مقتنياتنا من التحف واللوحات الفنية .

وفي مساء الأحد الماضي ، أطفات الأنوار الكهربية وقصدت مع زوجتي إلى مخدعنا كالعادة .

- وأين يقع هذا المخدع

- بجوار هذه الغرفة حيث نجلس الآن .. في صباح اليوم التالي، وهو يوم الأحد ، استيقظت مبكرا ، ولما كانت "سوزان" - زوجتي - لا تزال مستغرقة في نومها ، فقد خرجت من المخدع في هدوء حتى لا أزعجها ، وجئت إلى هذه الغرفة وهي غرفة استقبال صغيرة ملحقة

بالمخدع - ولشد ما كانت دهشتي حين وجدت هذه النافذة (وأشار إلى النافذة) مفتوحة ، بينما كنا قد أغلقناها في الليلة السابقة .

- لعل أحد الخدم ..

- كلا .. فإن أحدا من الخدم لا يجرؤ على الدخول في الصباح قبل أن ندق الجرس .. أضف إلى ذلك أنني أحرص دائما على أن أغلق بنفسي هذا الباب الزجاجي المؤدي إلى المخدع .

ومعنى ذلك أن النافذة لابد أن تكون قد فتحت من الخارج .. والدليل على ذلك أن اللوح الزجاجي الثاني إلى اليمين قد أزيل من النافذة .

- وعلام تطل هذه النافذة ؟

- هذه النافذة - كما تستطيع أن تتحقق بنفسك - تؤدي إلى شرفة يحيط بها سور من الحجارة .

نحن هنا في الطابق الأول . وفي استطاعتك أن ترى الحديقة الكائنة خلف القصر ، والسور الذي يفصلها عن حديقة (مونسو) .

فمن المحقق إذن أن اللص جاء من حديقة (مونسو) وتخطى السور بواسطة سلم ، ثم صعد إلى الشرفة .

- تقول من المحقق ؟

- نعم ، فقد وجدنا على جانبي السور آثار السلم الذي استخدمه اللص في الصعود والهبوط .. وهذه الآثار هي عبارة عن ثقبين في الأرض نتيجة لارتكاز قائمتي السلم .. كذلك وجدت هذه الآثار تحت الشرفة .. مما يدل على أن اللص استخدم في الصعود إليها نفس السلم الذي استخدمه لتخطي السور الذي يفصل بين حديقتنا وحديقة (مونسو)

- إن حديقة (مونسو) من الحدائق العامة التي تغلق في أثناء الليل.. أليس كذلك ؟

- إنها من الحدائق العامة ولكنها تظل مفتوحة ليلا ونهارا .

وعلى كل حال فإن البيت رقم ١٤ تجري به الآن عملية بناء وترميم .. ومن السهل دخول الحديقة عن طريقه .

ففكر "هولمز" قليلا ثم قال :

- لنتحدث الآن عن السرقة .. يفهم من حديثك أن السرقة حدثت في نفس هذه الغرفة التي نجلس نحن فيها الآن .

- نعم .. كان يوجد هنا ، بجوار تمثال العذراء الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر ، مصباح صغير من الفضة .. ولكنه اختفى .

- ألم يسرق شيء آخر ؟

- نعم .. لم يسرق شيء آخر

- هل تستطيع أن تصف لي هذا المصباح ؟

- إنه كاي مصباح عادي يتالف من قطعتين ، الأولى للبترول والثانية لشريط الإضاءة .

- يخيل إليّ انه شيء لا قيمة له .

- الواقع أن قيمة هذا النوع من المصابيح ضئيلة ولا تكاد تذكر، ولكن هذا المصباح بالذات له قيمة عظيمة ، فقد اعتدنا أن نخبئ فيه أو على الأصح . في الجزء المعد للبترول - حلية عائلية عظيمة القيمة ، هي عقد من الذهب مرصع بمجموعة من الزمرد لا تقدر بثمن .

- ولم هذه العادة ؟

- لا أعلد يا سيدي .. كنا نعتقد أن هذا المصباح الفضي العتيق لا يمكن أن يلفت الانظار .. وإن أحدا لن يخطر له اننا نضع فيه مثل هذه الحلية الثمينة .

- ألم يكن هناك من يعلم أمر هذا المخبأ ؟

- نعم ...

- فيما عدا اللص بالتاكيد .. وإلا لما سرق المصباح .

- هذا صحيح .. ولكن كيف تسنى للص أن يعرفه ؟ إننا لم نعرف

الطريقة السرية لفتح المصباح إلا مصادفة .

- إن هذه المصادفة ذاتها يمكن أن تكشف السر لأي إنسان .. لأي خادم من خدم القصر .. أو لأي صديق من أصدقاء الأسرة .. ولكن امض في حديثك .. هل أخطرت رجال العدالة ؟

- بالتاكيد .. وقد أجرى أحد القضاة تحقيقا دقيقا .

كذلك قام مخبرو الصحف التي تعنى بالقضايا البوليسية بتحقيقات واسعة النطاق .. ولكن الغموض لا يزال يكتنف الحادث، ولم يسفر التحقيق عن نتيجة .

فنهض "هولمز" ، وسار إلى النافذة ، وفحصها ، وفحص الشرفة استخدم عدسته في فحص الآثار التي تركها السلم على حافة المقصورة .. ثم طلب إلى البارون أن يذهب به إلى الحديقة ، وهناك جلس على أحد المقاعد ، وأرسل بصره إلى سقف القصر ..

وبعد أن قضى بضع دقائق متاملا مفكرا ، نهض فجاة ، وسار إلى حيث وضع القوم صندوقين من الخشب للمحافظة على الآثار التي تخلفت عن ارتكاز السلم الذي استخدمه اللص على أرض الحديقة . فرفع الصندوقين وجثا على ركبتيه ، وأدنى وجهه من الثقبين باحثا فاحصا . وقاس بعض الأبعاد .. ثم فحص بالمثل الآثار التي تركها اللص عند السور الذي يفصل حديقة القصر عن حديقة (مونسو) .

الفصل الثالث

عاد "هولمز" والبارون إلى قاعة الاستقبال الصغيرة الملحقة بالمخدع ، حيث كانت البارونة و"وطسون" في الانتظار .

لزم "هولمز" الصمت لحظة ثم قال :

– لقد لفت نظري منذ بدأت قصتك يا سيدي البارون أن الحادث على نحو ما وصفته قد تم بسهولة متناهية .. السلم لعبور سور الحديقة.. نفس السلم للصعود إلى الشرفة ، لوح من زجاج النافذة يزيله اللص ليتمكن من فتح النافذة .. مصباح فضي يختاره اللص من بين عشرات التحف الثمينة فيأخذه ويمضي في سبيله ..

كلا .. كلا .. يا سيدي البارون .. من الواضح أن السرقة لم تتم بهذه السهولة .

– كيف تمت إذن ؟

– لقد سرق المصباح الفضي بتدبير "ارسين لوبين" وتحت إشرافه .

فهتف البارون :

– "أرسين لوبين" !!

– نعم . وأكثر من ذلك أن السرقة لم تحدث من الخارج وإنما حدثت من الداخل .. بواسطة أحد أهل القصر ، كأحد الخدم مثلا.. وأكبر الظن أن السارق هبط من غرفته أو من سطح القصر إلى الشرفة باستخدام المواسير .. وعندما كنت في الحديقة ، رأيت أكثر من ماسورة يمكن استخدامها في هذا الغرض .

– ولكن أين الأدلة ؟؟

– لو كان "لوبين" قد وصل إلى هذه الغرفة لما خرج منها صفر اليدين..

– إنه لم يخرج صفر اليدين .. لقد أخذ المصباح الفضي .

- إن أخذ المصباح الفضي لم يكن ليمنعه من أخذ تحف أخرى.. كانت هناك علبة تبغ مرصعة بالماس ، وعقد من اللؤلؤ الثمين .. ولم يكن الاستيلاء عليهما ليكلفه أكثر من أن يمد يده ليأخذ ما يريد .. ولكنه لم يستول عليهما لسبب تافه هو أنه لم يرهما .. لأنه لم يدخل إلى هذه الغرفة بنفسه .

- وبماذا إذن تفسر الآثار التي وجدناها ؟

- كلام فارغ .. آثار مصطنعة للتضليل وإبعاد الشبهات .

- والخدوش التي وجدت على حافة الشرفة نتيجة لاحتكاك السلم بها ؟

- إنها خدعة دبرت باستخدام ورق الصنفرة .. وإليك قطعا من هذا الورق وجدتها في الحديقة وعلى أرض الشرفة

- وآثار السلم في أرض الحديقة ؟

- خدعة أخرى .. وإذا قارنا الثقبين الموجودين في الأرض تحت الشرفة نتيجة لوضع السلم هناك ، بالثقبين الموجودين تحت السور الفاصل بين حديقة القصر وحديقة (مونسو) لوجدتها جميعا متشابهة من حيث الشكل .. ولكن التشابه ينتهي عند هذا الحد . لأن المسافة بين الثقبين تحت الشرفة تختلف عن المسافة بين الثقبين تحت السور .. الأولى طولها ٢٣ سنتيمترا ، والثانية طولها ٢٨ سنتيمترا .. ومن غير المعقول أن يكون اللص قد استخدم سلمين خشبيين مختلفين ، أحدهما لتسلق السور والآخر للصعود إلى الشرفة .

- والنتيجة ؟

- النتيجة .. إنه ما دامت الثقوب متشابهة من حيث الشكل ، فمعنى ذلك أنها صنعت جميعا بقطعة خشبية واحدة على شكل الوتد .. استخدمها اللص أو اللصوص في استحداث الثقوب الأربعة .

- إن أفضل دليل على صحة هذه النظرية ، هو العثور على هذا

الوتد .

- ها هو ذا .. لقد عثرت عليه تحت إحدى الأشجار فاحنى البارون رأسه ، ولم يسعه إلا الاقتناع .

لم يكن قد انقضى منذ قدوم البوليس السري الانجليزي الكبير إلى القصر أكثر من أربعين دقيقة ، وخلال هذه الفترة الوجيزة ، استطاع الرجل أن يهدم جميع الأدلة التي كانت قائمة ، وأن ينفذ من الظواهر الخادعة إلى بواطن الحادث ، ويبرز حقائق جديدة قائمة على أدلة مادية ملموسة لا يجد إليها الشك سبيلا .

قال البارون :

- إن الاتهام الذي توجهه إلى خدم القصر على جانب عظيم من الخطورة يا سيدي ..انهم جميعا يعملون في خدمة الأسرة منذ عشرات السنين ، ولا أعتقد أن بينهم من يستطيع الإقدام على مثل هذه الخيانة.

فسأله "هولمز" :

- إذا لم يكن بينهم خائن ، فكيف تفسر ورود هذا الرسالة إليّ في نفس اللحظة التي تسلمت فيها رسالتك ؟

وقدم إليه الرسالة التي جاءته من "ارسين لوبين" .

وظهرت علامات الدهشة على وجه البارونة وهتفت :

- "أرسين لوبين" !! كيف علم بالأمر ؟

فقال "هولمز" موجها الحديث إلى البارون :

- ألم تطلع أحدا على مضمون رسالتك ؟

- نعم .. لقد خطرت لنا الفكرة ذات مساء ونحن نتناول طعام العشاء.

- هل كان هناك أحد من الخدم ؟

فاجاب البارون :

- لم يكن في غرفة الطعام سوى ابنتانا ، ولكن لا .. اظن ان "صوفي" و"هبزيتا" لم يتناولا معنا طعام العشاء في تلك الليلة أليس كذلك يا "سوزان"؟

ففكرت البارونة قليلا ثم أجابت :

- نعم .. إنهما تناولتا العشاء في تلك الليلة مع الآنسة

فقال "هولمز" بلهجة التساؤل :

- الآنسة ؟

- نعم .. الآنسة "اليس ديمون" .. المربية .

- الا تتناول هذه الآنسة الطعام معكما ؟

- نعم .. إنها تتناول الطعام وحدها في غرفتها

وهنا خطر للدكتور "وطسون" خاطر فسأل :

- ألم توضع الرسالة التي وردت إلى صديقي "هولمز" في صندوق البريد ؟

- بلى .. بالتأكيد ..

- من حملها إلى صندوق البريد ؟

فأجاب البارون :

- دومينيك .. خادمي الخاص منذ عشرين عاما .. وهو رجل مخلص لا سبيل إلى الشك في امانته .. وأي بحث في هذه الناحية هو جهد ضائع .

فقال "وطسون" متفلسفا :

- إن أي بحث في أي اتجاه لا يعد جهدا ضائعا .

* * *

انهى "هولمز" المرحلة الأولى من التحقيق عند هذا الحد ، ثم خلا إلى نفسه في الغرفة التي أعدت له ..

وبعد ساعة ، التقى على مائدة العشاء بالطفلتين ، "صوفي"

و"هنربيتا" ، ابنتي البارون "دامبلفال" . وهما طفلتان جميلتان تناهزان الثامنة والعاشرة ..

ودار الحديث حول المائدة في بعض الشؤون العامة ، ورد "هولمز" على مجاملات البارون وزوجته بشيء من الجفاء والاقتضاب فلزم الزوجان الصمت .

ثم أديرت أقداح القهوة ، فازدرد "هولمز" قدحه ، وتاهب للانصراف .

وفي هذه اللحظة ، دخل أحد الخدم وقدم إليه برقية وردت في التو واللحظة ، ففضها وقرأ فيها :

"اسمح لي أن أعبر لك عن عظيم إعجابي وتقديري ، فإن النتيجة التي وصلت إليها في هذه الفترة الوجيزة تبعث على الدهشة حقا " .

"أرسين لوبين"

* * *

ذعر "هولمز" ، ودفع بالبرقية إلى البارون وهو يقول :

– ألا تعتقد الآن يا سيدي أن جدران قصرك لها آذان وعيون ؟

ذهل البارون وغمغم قائلا :

– الحق إنني لا أفهم شيئا ..

– ولا أنا .. كل ما أفهمه أنه ما من حركة تحدث هنا إلا ويعلم بها "لوبين" ، وما من كلمة تقال إلا ويسمعها .

الفصل الرابع

في ذلك المساء ، أوى الدكتور "وطسون" إلى فراشه وهو ناعم البال شان كل إنسان أدى واجبه على الوجه الأكمل ، فلم يكد رأسه يستقر على الوسادة حتى استغرق في نوم يطارد "لوبين" وأنه أحدق به ، ومد يده ليلقي القبض عليه .. وكان انفعاله من القوة بحيث استيقظ من نومه . وحينئذ شعر بإنسان يحوم حول فراشه . فاختطف مسدسه من تحت الوسادة وهتف :

- مكانك يا "لوبين" .. ساطلق النار إذا أتيت حركة .

فسمع صوتا يجيب :

- لك الله أيها الصديق .. ما أشد تفاؤلك !!

- آه .. أهذا أنت يا "هولمز" ؟ هل أنت في حاجة إليّ ؟

فاجاب "هولمز" :

- إنني في حاجة إلى عينيك .. انهض .

واقتاده إلى النافذة واستطرد قائلا :

- انظر .. إلى الجانب الآخر من السور الذي يفصل بين حديقة القصر وحديقة (مونسو) .. الا ترى شيئا ؟

- نعم .. لا أرى شيئا ...

- إنك ترى ...

- نعم .. نعم .. أرى شبحا .. بل شبحين .

- أليس كذلك ؟؟ إنهما يتحركان بجوار السور .. هلم بنا .. ودعنا لا نضيع الوقت سدى .

* * *

خرج مهرولا ، وتبعه "وطسون" ، فهبطا السلم إلى غرفة في الطابق الأرضي تطل على الحديقة .

ومن خلال نافذة الغرفة ، راحا يرقبان الشبحين .
كانا لا يزالان في مكانهما الأول بجوار السور .
قال "هولمز" بعد لحظة :
- هذا عجيب ، يخيل إليّ أنني أسمع جلبة في القصر
- في القصر ؟ هذا مستحيل ، فالجميع مستغرقون في النوم .
- أرهف أذنيك إذن وأنصت .
وفي هذه اللحظة سمعا صفيرا خافتا صادرا من ناحية السور ، وشاهدا ضوءا ينبعث من القصر .
قال "هولمز" في همس :
لابد أن يكون البارون وزوجته قد استيقظا من نومهما وأضاءا النور.. إن مخدعهما يقع فوق هذه الغرفة حيث نوجد نحن الآن .
فقال "وطسون" :
- إذن فهما اللذان أحدثا الضجة التي سمعتها . ولعلهما الآن يرقبان السور .
دوى الصفير للمرة الثانية ، ولكنه كان خافتا مكتوما فقال "هولمز" وقد تملكته الحيرة :
- إنني لا أكاد أفهم شيئا .
- ولا أنا .
تقدم "هولمز" من الباب المؤدي إلى الحديقة وفتحه في حذر شديد ..
وفي هذه اللحظة ، سمع الصديقان الصفير للمرة الثالثة ، ولكنه كان يختلف عن المرتين السابقتين .
كان صفيرا مرتفعا قليلا ، وله نغم يختلف عن سابقيه ، وفي الوقت نفسه ، اشتدت الجلبة فوق رأس الصديقين فهمس "هولمز" قائلا :
- يخيل إليّ أن الجلبة صادرة من شرفة المخدع .
واطل برأسه من الباب ، ولكنه ما لبث أن تراجع وعلى شفتيه

صيحة دهشة وعجب ...

أطل "وطسون" بدوره فرأى على مقربة منهما سلما خشبيا مسندا إلى حاجز الشرفة .

صاح "هولمز" :

- لقد تسلل بعضهم إلى المخدع .. وهذا سبب الجلبة التي سمعناها.. أسرع .. دعنا نرفع السلم ..

ولكنه قبل أن يتحرك من مكانه ، هبط شخص على السلم بسرعة مذهلة ، حتى إذا استقرت قدماه على الأرض، حمل السلم وراح يعدو به نحو سور الحديقة ، حيث كان زميلاه في انتظاره .

انطلق "هولمز" و"وطسون" في أثر الرجل ، ولحقا به وهو يهم بإسناد السلم إلى سور الحديقة ..

وفي هذه اللحظة ، دوى من الجانب الآخر للسور طلقان ناريان فصاح "هولمز" بزميله :

- هل جرحت ؟

أجاب "وطسون" !

- لا ...

انقض "وطسون" على الرجل وأمسك به ، وحاول أن يشل حركته، ولكن الرجل تحول إليه فجأة، ولطمه بإحدى يديه، وأغمد خنجرا في صدره بيده الأخرى، فتاوه "وطسون" ثم ترنح وسقط على الأرض .

فصاح "هولمز" :

- الويل لهم إذا كانوا قتلوه .

مدد "وطسون" على أرض الحديقة، ثم هجم على السلم ...لكن بعد فوات الوقت ...

كان الرجل قد تسلق السلم، وانضم إلى زميليه، وتوارى ثلاثتهم بين أشجار حديقة (مونسو) .

عاد "هولمز" إلى صديقة وركع بجواره وراح يهتف :

- "وطسون"..."وطسون"... إن إصابتك ليست خطيرة ... إنها مجرد جرح سطحي .

وفتحت أبواب القصر فجأة ، وأقبل البارون دامبلفال، وخلفه بعض الخدم يحملون الشموع .

صاح البارون :

- ماذا حدث ؟.. هل جرح الدكتور "وطسون" ؟

فاجاب "هولمز" محاولا أن يغالط نفسه :

- إنه خدش خفيف ...

ولكن الدم كان يتدفق من صدر "وطسون"، وقد امتقع وجه الرجل وغارت عيناه ...

* * *

استدعي أحد الاطباء على عجل ، فجاء بعد نحو عشرين دقيقة وفحص "وطسون" ، وقرر أن نصل الخنجر كان على بعد أربعة ملليمترات من قلب المصاب .

فصاح "هولمز" :

- على بعد أربعة ملليمترات فقط من القلب ! ! حقا إنه لسعيد الحظ!!

فمغم الطبيب في دهشة :

- ماذا تعني ؟

- أعني أنه قوي البنية، وسيبرأ من إصابته ويغادر الفراش بعد...

فقاطعه الطبيب :

- يجب أن يلزم الفراش ستة أسابيع على الأقل ...

- لا أكثر من ذلك ؟

- كلا .. اللهم إلا إذا حدثت مضاعفات ..

- يا للشيطان ! ! ولماذا تريد أن تحدث له مضاعفات ؟؟

* * *

ولما اطمأن "هولمز" على حياة صديقه .. لحق بالبارون في المخدع ..

كان اللص في هذه المرة جريئا غاية الجرأة .. فقد حمل كل ما وصلت إليه يداه ...

حمل علبة التبغ المرصعة بالأحجار الكريمة . وعقد اللؤلؤ الأثري، وغير ذلك من التحف الخفية الثمينة التي يمكن أن يتسع لها جيب لص يعرف أصول المهنة .

كانت النافذة التي دخل منها اللص لا تزال مفتوحة، وأثبت التحقيق السريع الذي قام به "هولمز" في تلك الساعة المتأخرة من الليل، أن اللص دخل عن طريق حديقة "مونسو"، وأنه استخدم سلما خشبيا جاء به من العمارة المجاورة التي يعمل البناءون في تشييدها .

قال البارون وعلى شفتية ابتسامة ساخرة :

- صفوة القول:

إن هذا الحادث هو تكرار لحادث سرقة المصباح الفضي .. نفس الأسلوب، ونفس الخطوات..

فأجاب "هولمز":

- هذا صحيح، إذا جاز لنا أن نأخذ بنظرية المحقق الذي قام بتحقيق الحادث الأول .

- الا تؤمن انت بصحة هذه النظرية ؟ ؟ ألا ترى أن هذا الحادث يدحض وجهة نظرك في كيفية وقوع الحادث الأول ؟

- بل على العكس يا سيدي ... إنه يؤيدها .

- أهذا ممكن ؟ ؟ الم تر بعيني رأسك أن اللص قد جاء من الخارج ؟ ؟ أما زلت تصر بعد حادث اليوم على أن المصباح الفضي قد سرق بالاتفاق مع أحد خدم القصر ..

- بالاتفاق مع شخص يقيم في القصر .

- إذن كيف تفسر ...

فقاطعه "هولمز" :

- لن أفسر شيئا يا سيدي .. إنني أمام حادثين لا رابط بينهما إلا في الظاهر .. فانا أحكم عليهما فرادى .. وأحاول أن أجد الصلة التي تربط بينهما .

وكان يتكلم بلهجة الواثق من نفسه ، فلم يسع البارون إلاّ الرضوح والتظاهر بالاقتناع .. فاطرق برأسه قليلا ثم قال :

- حسنا .. يجب على كل حال أن نخطر الشرطة .. فصاح "هولمز" بحدة :

- كلا .. لا تفعل .. فليس في نيتي الاتصال بالشرطة إلا حين الحاجة إليهم.

- وحادث السرقة .. والطلقات النارية ؟

- هذا لا يهم .

- وصديقك الجريح ؟

- اتصل بالطبيب واطلب إليه أن يكتم الأمر ...

وساقوم أنا بالتفاهم مع رجال العدالة .

* * *

انقضى يومان لم يقع في خلالهما أي حادث .. ولكن "هولمز" لم يكف عن البحث والاستقصاء .

كان يحز في نفسه ويجرح كبرياءه أن ذلك الحادث الجريء قد وقع تحت سمعه وبصره دون أن يستطيع له دفعا .. فاخذ يعمل بحماسة واهتمام لا حد لهما ...

قام بتفتيش القصر والحديقة تفتيشا دقيقا ، واستجوب الخدم، وقضى وقتا طويلا في المطبخ واصطبلات الخيل، وعلى الرغم من انه

لم يعثر على أي دليل يضيء له الطريق، فأنه لم يفقد الأمل .

قال لنفسه :

- ساجد الدليل .. وساجده هنا .. إن معركة اليوم مع "أرسين لوبين"، تختلف عن معركتنا الأولى ، حين كان يتعين على أن أسير في الظلام ، نحو غابة مجهولة .. أما الآن فإنني على أرض المعركة ذاتها ، وغريمي الأول في هذه المعركة ليس "أرسين لوبين" الذي لا يرى ولا يقهر، وإنما شريكه الذي يقيم بين جدران هذا القصر، واقل دليل أقع عليه .. سوف يرشدني إليه، ويبدد كل هذا الظلام الذي نتخبط في دياجيره ..

* * *

وهذا الدليل الصغير الذي كان "هولمز" يجد في البحث عنه ، حتى استطاع ببراعته وعبقريته أن يستخلص منه من النتائج ما جعل حادث المصباح الفضي أعظم قضية تجلت فيها مواهبه .. هذا الدليل الصغير قد ساقته إليه المصادفه البحتة فسجل به أعظم نصر في حياته كبوليس سري .

فقد حدث بعد ظهر اليوم الثالث أنه وصل في بحثه وتنقيبه إلى غرفة تقع فوق مخدع البارون، تتلقى فيها الطفلتان دروسهما على يد المربية .

وفي هذه الغرفة، التقى "هولمز"بـ "هنربيتا" ، أصغر الأختين، وكانت تبحث عن مقص .

قالت له في براءة الأطفال :

- هل تعلم أنني أصنع أوراقا كتلك التي وردت إليك منذ بضعة أيام؟

نعم ..حين كنت تتناول الطعام ... الم يحضر إليك الخادم ورقة... أعني برقية ؟ ؟ إنني أستطيع أن أصنع مثلها .

قالت ذلك وانصرفت ...

ولم تكن كلماتها تعني شيئا أكثر من أنها مجرد ثرثرة طفلة تحاول

المفاخرة بمقدرتها، وقد استمع إليها "هولمز" وهو شارد الفكر ثم استمر في بحثه وتنقيبه ..

ولكنه توقف فجاة، وقد تنبه إلى مغزى العبارة الأخيرة التي نطقت بها الطفلة فانطلق في اثرها ولحق بها على درج السلم وقال لها :

- إذن فانت تعرفين كيف تلصقين الكلمات على الورق كما في البرقيات؟

فاجابت الطفلة في خيلاء :

- نعم .. إنني اقص الكلمات المطبوعة والصقها على الورق .

- ومن علمك هذه اللعبة الجميلة ؟

- الآنسة .. مربيتي .. لقد رأيتها تفعل ذلك .. إنها تقص الكلمات من الصحف وتلصقها .

- وماذا تصنع بها بعد أن تلصقها؟

- تصنع منها برقيات ورسائل تبعث بها .

فعاد "هولمز" إلى الغرفة وقد أثارت هذه الكلمات فضوله فراح يعصر ذهنه في البحث عن مغزاها.

ووقع بصره على حزمة من الصحف فوق الموقد فتناولها وبسطها أمامه، واكتشف ان هناك فعلا بعض كلمات وسطور قد قطعت من بعض الصحف بعناية، ولكن يكفيه أن يقرأ الكلمات السابقة واللاحقة لكي يدرك أن الكلمات الناقصة قد قطعت كيفما اتفق، ولعل "هنربيتا" هي التي قطعتها بالمقص لمجرد العبث .

ولكن يحتمل أن يكون بين هذه الصحف، صحيفة قطعت منها الآنسة كلمات ذات معنى، فكيف يتحقق من ذلك ؟

راح "هولمز" يتصفح الكتب المدرسية الموضوعة فوق المائدة ثم انتقل منها إلى مجموعة من الكتب كانت فوق أحد الرفوف. وفجاة، أفلتت من بين شفتيه صيحة جذل، فقد عثر تحت طائفة من الكراسات القديمة

المهملة على أحد الكتيبات التي تعلم الأطفال القراءة عن طريق الرسوم والصور ولاحظ وجود فراغ في إحدى صفحات الكتب .

وبفحص الصفحة، وجد انها تتضمن أسماء أيام الأسبوع الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت، اما كلمة "الاحد" فقد قطعت من الصفحة .

وتذكر "هولمز" أن المصباح الفضي قد سرق في ليلة الأحد .. وخالجه ذلك الشعور الذي قلما يخطئ، والذي طالما أحس به كلما أمسك بطرف الخيط في إحدى القضايا الغامضة .

ازدادت ثقته بنفسه، وراح يقلب صفحات الكتيب وما لبث أن وجد مفاجاة جديدة .

وجد في إحدى الصفحات المخصصة للحروف الأبجدية والأرقام الحسابية، أن هناك سبعة حروف وثلاثة أرقام قد قطعت من الصفحة، فسجل هذه الحروف والأرقام في مفكرته بالترتيب الذي كانت عليه في الصفحة هكذا :

أ . أ . ب . ج . ك . و . ى - ٧٣٢ .

قال وهو يحك راسه في حيرة :

- يا للشيطان .. هذه الحروف والأرقام لا تكاد تعني شيئا .. ولكن ترى هل يمكن إعادة ترتيبها بطريقة أخرى بحيث تنتج منها كلمتان أو ثلاث كلمات لها معنى ؟

واقبل على الحروف والأرقام يعيد ترتيبها ويغير في أوضاعها ولكن دون جدوى .

حل واحد كان يلح عليه باستمرار باعتباره أقرب الحلول إلى الحقيقة، ليس لأنه يتفق مع منطق الحوادث فقط وإنما لأنه يتلاءم مع الظروف بصفة عامة كذلك .

وهذا الحل هو أن يكون وضع الحروف والأرقام كما يلي :

(أجب - ايكو ٧٣٢) .

فإذا وضعنا في الاعتبار كلمة "الأحد" التي انتزعت من كتيب الرسوم والصور، كان معنى ذلك أن الشخص الذي انتزع الحروف والأرقام قد اقترح يوم الأحد، ثم طلب الإجابة عن اقتراحه بعنوان (ايكو ٧٣٢) وقد يكون هذا العنوان متفقا عليه في شباك البريد حيث يمكن تسلم الرسائل المعنونة بالرموز أو بأسماء مستعارة .

اقبلت "هيربيت على "هولمز" وهو يضرب أخماسا لاسداس وهمست :

- إنها لعبة مسلية .. أليس كذلك ؟

فاجاب :

- إنها مسلية حقاً . ولكن أليست معك حروف أو كلمات أخرى منزوعة من الكتب أو الصحف أستطيع أن أجعل منها رسالة ذات معني؟

- حروف أو كلمات ؟ .. كلا .. ثم أن ذلك قد يغضب الآنسة .

- الآنسة ؟

- نعم، إنها انتهرتني فعلا .

- ولماذا ؟

- لأنني حدثتك عن هذه اللعبة .

- الحق أنك طفلة ذكية يا "هنربيتا"، إن الفضول وقوة الملاحظة من علامات الذكاء، وأنت شديدة الفضول وقوية الملاحظة .

وقد أرضى هذا الإطراء غرور الطفلة وخيلاءها، فوضعت يدها في جيبها وأخرجت ورقة صغيرة مطوية قدمتها إليه قائلة :

- إنني أحبك، ولذلك أعطيك هذه الأرقام.

كان سائقو سيارات الأجرة، قبل استخدام العدادات يقدمون لكل راكب شبه فاتورة عليها رقم السيارة واسم الشركة صاحبتها والمبلغ الذي دفعه الراكب، وكانت الورقة التي قدمتها "هنربيتا" لـ "هولمز" من

نوع هذه الفواتير .. أما رقم السيارة فكان ٨٢٧٩ .

سالها "هولمز" :

- من أين جئت بهذه الورقة ؟

- إنها سقطت من حقيبة الآنسة .

- متى ؟ واين ؟

- يوم الأحد في الكنيسة، عندما أخرجت الآنسة يدها من حقيبتها وبها قطعة من النقود وضعتها في صندوق النذور .

- هذا حسن .. والآن، والآن ، سأدلك على طريقة لا تعرضك للوم الآنسة وتعنيفها. وهذه الطريقة هي ألا تذكري لها انك قابلتني أو تحدثت إلي .

ذهب "هولمز" إلى البارون، وألقى عليه سؤالا مباشرا عن الآنسة، ولكن البارون نظر إليه مستنكرا وصاح :

- هل ترتاب في الآنسة اليس ديمون ؟ هذا مستحيل

- متى التحقت هذه الآنسة بخدمتكم ؟

- منذ عام تقريبا، ولكن لا أعرف إنساناً أكثر منها استقامة، أو أجدر منها بثقتي .

- كيف حدث أنني لم أرها حتى الآن ؟

- كانت لمدة يومين في إجازة .

- والآن ؟

- ما كادت تعود وتعلم بما حدث حتى تطوعت للسهر على الدكتور "وطسون" .. إن لها كل صفات المرضة المثالية فهي لطيفة ويقظة، ويبدو أن الدكتور "وطسون" قد ارتاح اليها .

وكان "هولمز" قد نسى تماما في غمرة الحوادث الاستفسار عن صحة صديقه، فغمغم قائلا :

- هذا حسن .

ثم قال بعد لحظة :

- وهل خرجت الآنسة "اليس ديمون" في صباح يوم الأحد .

- تعني في صباح اليوم التالي لحدوث السرقة ؟

- نعم .

فدعا البارون زوجته والقى عليها نفس السؤال فاجابت :

- إنها خرجت مع الطفلتين في الساعة الحادية عشرة كالعادة لحضور القداس في الكنيسة .

- وقبل الساعة الحادية عشرة ؟

- قبل الساعة الحادية عشرة ؟ كلا .. صبرا لحظة .

إنني كنت في ذلك اليوم في اشد حالات الانزعاج بسبب السرقة ولكني أذكر انها طلبت مني في مساء السبت أن اسمح لها بالخروج في صباح الأحد لرؤية ابنة عمها التي قدمت إلى باريس في زيارة عابرة .. ولكن لا شك أن مستر "هولمز" لا يرتاب في "اليس ديمون" ؟

فأجاب "هولمز"

- نعم بالتأكيد إنما . أردت التحقق فقط من بعض التفصيلات.

صعد "هولمز" إلى غرفة "وطسون" ورأى على أثر دخوله فتاة طويلة القامة ترتدي زي الممرضات منحنية فوق المريض وبيدها ملعقة دواء .

ولما استدارت الفتاة، عرف فيها "هولمز" على الفور الصبية التي قابلته في المحطة وحاولت أن تثنيه عن تحقيق حادث السرقة .

لم يدر بينهما حديث أو إيضاح .. كل ما هنالك أن الفتاة ابتسمت له ابتسامة حلوة ولم يظهر على وجهها أو في حركاتها شيء من دلائل الاضطراب أو الانزعاج .. وحاول "هولمز" من جانبه أن يقول شيئا، فلم تسعفه بديهته ولزم الصمت ..

وعادت الفتاة إلى عملها في هدوء تام تحت نظرات "هولمز" المليئة بالدهشة والحيرة .. فغسلت جرح "وطسون" وأعادت تضميده دون أن

تتلاشى عن شفتيها ابتسامتها الرقيقة الصريحة..

دار "هولمز" على عقبيه، وهبط إلى فناء القصر، حيث كانت سيارة البارون دامبلفال في الانتظار، فامر السائق أن يذهب به إلى شارع«لوفالوا»حيث مقر شركة السيارات التى تتبعها السيارة رقم ٨٢٧٩ .

وعلم "هولمز" من مدير الشركة، بعد أن فحص السجلات أن السائق الذي كان يقود السيارة في صباح يوم الأحد يدعى "دوبريه" .. وانه الآن في عمله بالخارج، فصرف "هولمز" سيارة البارون، وانتظر حتى فرغ "دوبريه" من نوبته في العمل وعاد ليعهد بالسيارة إلى السائق الذي يليه فاستفسر منه "هولمز" عمن ركب سيارته في صباح يوم الأحد .

ولم يجد "دوبريه" صعوبة في أن يتذكر .

قال إن فتاة في مقتبل العمر، ترتدي ثوبا اسود وتضع في صدرها زهرة بنفسج كبيرة، وتبدو عليها دلائل الاضطراب الشديد ركبت السيارة بالقرب من حدائق مونسو .

فساله "هولمز" :

- وهل كانت تحمل في يدها حزمة ؟

- نعم، حزمة صغيرة .

- وإلى اين ذهبت بها ؟

- إلى منزل بشارع «تيرن» بالقرب من ميدان سان فردينان حيث غابت نحو عشر دقائق، ثم رجعت أدراجها وطلبت إلي أن اعود بها إلى حدائق مونسو .

- وهل تعرف المنزل الذي دخلته بشارع تيرن ؟

- اعرفه جيدا .. هل تريد ان اذهب بك إليه ؟

- أكون شاكرا لو فعلت .. ولكنني أرجو أولاً أن تذهب بي إلى ادارة البوليس بشارع «أورفيفر» .

ومن حسن الحظ أنه وجد المفتش جانيمار في مكتبه بإدارة البوليس فسأله :

- هل أنت مشغول يا مسيو "جانيمار" ؟

- إذا كان الأمر خاصا بـ "أرسين لوبين" فأنا مشغول .

- إنه خاص بـ "ارسين لوبين" .

- إذن فلن أتحرك من مكاني .

- ماذا تعني ؟

- لا ضرورة لمحاولة المستحيل .. لقد يئست من نتيجة هذه المعركة غير المتكافئة التي لن تسفر إلا عن هزيمتنا ..

ستقول إنني جبان .. أو إنني من دعاة الهزيمة . قل ما شئت فذلك لا يهمني .. إن "لوبين" أقوى منا .. ولا مفر من أن نحني رؤوسنا .

- ولكني لن أحني رأسي .

- سوف يرغمك على إحنائهاكما أرغم الكثيرين .

- إذا استطاع أن يفعل ذلك فإن المنظر يكون خليقا بأن تراه وبأن يدخل السرور على نفسك .

- صدقت، وإذا كنت تعتقد أنك لم تنل كفايتك من الهزائم والصفعات فهذا شأنك .. هلم بنا .

واستقلا السيارة فانطلقت بهما إلى شارع تيرن وهناك جلسا في مقهى صغير في مواجهة المنزل الذي قال السائق إن الفتاة غابت فيه نحو عشر دقائق .

وكان الليل قد بدأ يرخي سدوله فتناول "هولمز" ورقة وقلما وكتب بضعة سطور ثم دعا خادم المقهى وقال له :

- أرجو أن تحمل هذه الرسالة إلى بواب المنزل المقابل أعتقد أنه العجوز الذي يدخن غليونه على مقربة من الباب .

وما إن قرأ البواب رسالة "هولمز" حتى أسرع إليه فكشف له "جانيمار"

عن شخصيته وشرع "هولمز" في استجواب البواب فسأله عما إذا كان قد رأى فتاة ترتدي ثوبا أسود تدخل البيت في صباح يوم الأحد .

فاجاب البواب :

- فتاة ترتدي ثوبا أسود ؟ نعم .. إنني رأيتها، كان ذلك حوالي الساعة التاسعة، وقد صعدت إلى الطابق الثاني .

- هل اعتادت التردد على هذا البيت ؟

- في المدة الأخيرة فقط .. أي في خلال الأسبوعين الأخيرين كانت تاتي كل يوم تقريبا .

- وهل جاءت بعد يوم الأحد ؟

- جاءت مرة واحدة .

وهي هنا الآن .

- ماذا تقول ؟ هي هنا الآن ؟

- نعم ..

- ومتى جاءت ؟ ؟

- منذ بضع دقائق .. والمركبة التي اقلتها مازالت تنتظرها بميدان سان فردينان كالعادة .

- من الساكن الذي يقيم بالطابق الثاني ؟

- يوجد بالطابق الثاني ساكنان، صانعة أزياء تدعى الآنسة «لانجيه» ورجل استاجر غرفتين مؤثثتين منذ شهر باسم "بريسون" .

- لماذا تقول "باسم بريسون" اليس هذا هو اسمه ؟

- أعتقد انه اسم مستعار، إن زوجتي تقوم بتنظيف الغرفتين . وقد لاحظت أنه ليس بين اقمصته "قميصان عليهما نفس الحروف التي تدل على اسم صاحبها .

- وكيف يعيش هذا المستاجر ؟

- إنه يكاد يعيش في الخارج، وأحيانا تمر ثلاثة أيام دون أن يعود

إلى مسكنه .

- هل عاد في ليلة الأحد الماضي ؟

- في ليلة الأحد الماضي؟ دعني افكر .. آه .. نعم ، إنه عاد في ليلة الأحد الماضي ولم يبرح مسكنه بعد ذلك .

- هل تستطيع أن تصف لي هذا الشخص ؟

- يا إلهي .. لا أعتقد إنني أستطيع.. إنه متلون كالحرباء .. طويل تارة وقصير تارة أخرى .. تراه يوما بدينا ويوما نحيلا .. يوما أشقر ويوما أسمر .. الحق انه كلما وقع عليه بصري خيل إلي انني أرى شخصاً لا أعرفه ولم يسبق لي ان رايته .

فتبادل "جانيمار" و"هولمز" نظرة ذات معنى وتمتم الأول:

- إنه هو بغير شك .

راح المفتش العجوز يقبض أصابعه ويبسطها بحركة عصبية .

أما "هولمز" فقد احس بدوره بان نبضات قلبه تتلاحق بسرعة .

وفجاة همس البواب :

- صه .. ها هي ذي الفتاة .

والواقع، أن الفتاة غادرت البيت في تلك اللحظة وراحت تخترق الميدان .

واستطرد البواب :

-وها هو ذا مسيو "بريسون"

- "بريسون" ؟ أين هو ؟

- ذلك الذي يحمل حزمة صغيرة تحت إبطه .

- ولكنه يسير بعيدا عن الفتاة .. كانه لا يعرفها .. بينما قصدت الفتاة وحدها إلى حيث تنتظرها المركبة .

فاجاب البواب .

- الواقع انني لم أرهما معا قط .

ونهض "هولمز" و"جانيمار" على الفور ..

لقد رأيا وجه "بريسون" واضحا جليا، وادركا انه "لوبين" بعينه .

كان "لوبين" قد سار في شارع تيرن في الاتجاه المضاد للميدان فسأل "جانيمار" صاحبه :

- ايهما تريد أن تتعقب ؟ "لوبين" أم الفتاة ؟

فاجاب "هولمز" في غير تردد .

- سأتعقبه هو بالتأكيد .. إنه الصيد الأكبر .

فقال "جانيمار" :

- إذن فسأتعقب الفتاة .

ولم يسأ "هولمز" ان يضع "جانيمار" اصبعه في القضية فهتف به : وانطلقا في أثر "لوبين"، وكانا يتواريان خلف المارة تارة ووراء أكشاك بيع الصحف تارة أخرى حتى لا يفطن "لوبين" إلى أن هناك من يطارده .

على أن المطاردة كانت سهلة، لأن "لوبين" كان يمشي مسرعا ولا يتلفت حوله، وكان يعرج قليلا بقدمه اليمنى، ولكنه عرج طفيف جدا لا تتبينه إلا عين خبير.

قال "جانيمار"

- إنه يتظاهر بالعرج إمعانا في إخفاء شخصيته.

ثم استطرد بعد قليل :

- آه .. حبذا لو دعونا اثنين أو ثلاثة من رجال البوليس وأطبقنا عليه .. إنني أخشى أن يفلت منا .

ولكنهما لم يصادفا أحدا من رجال الشرطة في شارع تيرن، إلى أن اجتاز "لوبين" البوابة الكبيرة المعروفة باسم بوابة الاستحكامات .. وحينئذ أصبح الاعتماد على أية معونة خارجية أمرا مشكوكا فيه .

قال "هولمز" :

- إن الطريق مقفر .. ويحسن بنا أن نفترق حتى لا يشعر باننا نطارده .

ووصلا إلى شارع فيكتور هيجو، وهناك افترقا، وتبع كل منهما رصيفا، وراحا يتقدمان ويستتران بالاشجار .

استمرت المطاردة زهاء عشرين دقيقة إلى أن انحرف "لوبين" يسارا ومشى في محاذاة نهر السين .

ولاحظ "هولمز" و"جانيمار" أن غريمهما انحدر نحو الشاطئ فوقفا في مكانهما لا يدريان ماذا يفعلان .

على أن "لوبين" ما لبث أن عاد أدراجه، فتواريا خلف أحد الأعمدة حتى لا يراهما ..

ومر "لوبين" على مقربة منهما، فلاحظا أن الحزمة ليست معه .

وما إن ابتعد "لوبين"، حتى خرج رجل من أحد المنازل القريبة.. واخذ يسير في أثره متواريا وراءالأشجار .

فقال "هولمز" بصوت خافت :

- يخيل إلي أنه يطا رده مثلنا .

واستمرت المطاردة ولكنها ازدادت تعقيدا بظهور ذلك الدخيل .

وقفل "لوبين" عائدا في نفس الطريق التي سلكها فاجتاز بوابة شارع تيرن، ودخل منزله بميدان سان فردينان .

وكان البواب يهم بغلق الباب حين اقترب منه "جانيمار" وساله:

- إنه عاد .. أليس كذلك ؟

- بلى ، وقد رأيته .

- هل يوجد أحد معه في الشقة ؟

- لا .. وليس عنده خدم .. إنه يتناول طعامه في الخارج دائما..

- ألا يوجد هنا سلم للخدم؟

- نعم .

فقال "جانيمار" محدثا "هولمز" :

- خير مانفعله أن أرابط أنا بباب "لوبين" ، بينما تذهب أنت إلى مركز بوليس شارع "ديمور" لطلب النجدة ..

ساعطيك رسالة إلى ضابط البوليس هناك .

فقال "هولمز" معترضا :

- وإذا هرب خلال ذلك ؟

- كيف يهرب وانا احرس باب شقته .

- واحد ضد واحد .. ستكون المعركة معه غير متكافئة

- ليس في استطاعتي اقتحام الشقة وخاصة في الليل لأنني لا احمل تفويضا بذلك .

فهز "هولمز" كتفيه واجاب :

- متى القيت القبض على "لوبين"، فلن يسالك أحد عن ظروف اعتقاله .. ولن يثير أحد مسالة الشكليات ... إن الأمر لا يتطلب منا أكثر من أن نقرع جرس الباب .. ولنر بعد ذلك ما يكون .

صعدا إلى الطابق الثاني، ووقفا بباب شقة "لوبين"، ووضع "جانيمار" اصبعه على زر الجرس وضغط ورن الجرس في الداخل ولكنهما لم يسمعا اية حركة ..

فقرع "جانيمار" الجرس مرة اخرى .. ولكن دون جدوى

قال "هولمز" في همس :

- فلندخل .

- هلم بنا ..

ولكنهما مع ذلك ترددا، كما يتردد الإنسان قبل الإقدام على عمل حاسم ..

ترددا، لانهما ادركا فجاة ان "لوبين" لا يمكن أن يكون في الداخل، على

مقربة منهما، وليس ما يفصل بينه وبينهما غير هذا الباب الرقيق الذي يمكن تحطيمه بقبضة اليد .

كانا يعرفان هذا الشيطان المريد حق المعرفة .. فهو ليس من الطراز الذي يضع نفسه في مثل هذا الفخ ويسمح لخصومه باعتقاله بمثل هذه السهولة .

كلا .. كلا .. وألف مرة كلا ..

من المحقق إنه ليس بالداخل ، وإنه استطاع الفرار من إحدى النوافذ أو من السقف، أو بأية وسيلة أخرى من الوسائل التي لابد انه أعدها لمواجهة مثل هذه الظروف ..

مرت بجسديهما رعدة، فقد سمعا في الجانب الآخر من الباب حركة طفيفة أشاعت الذعر في نفسيهما .

أحسا، رغم جميع الافتراضات، بانه هناك، لا يفصله عنهما غير هذا الباب، وأنه الآن ينصت إليهما .. ويسمع حديثهما ..

فماذا يفعلان ؟

كان الموقف محيرا ومحزنا ..

وعلى الرغم من حنكتهما ورباطة جأشهما فقد بلغ من اضطرابهما أن خيل إلى كل منهما انه يسمع صوت نبضات قلبه .

نظر "جانيمار" إلى "هولمز" من ركن عينه كأنما ليستشيره ثم جمع قبضة يده وأهوى بها على الباب..

وهنا سمعا جلبة في الداخل .. جلبة واضحة لا شك فيها ...

أسند "هولمز" كتفه إلى الباب ودفعه بقوة، ففتح الباب ولكنهما توقفا فجاة.. وجمدا في مكانهما، فقد دوى في ذات الوقت طلق ناري تردد صداه بين جدران الشقه .

وعندما استردا انفاسهما ودخلا، وجدا الرجل ممددا على الأرض، ومسدسه في يده .

فانحنى "جانيمار" فوقه وأدار رأسه .. فرأى الدم ينفجر من جرح عميق في خده ويسيل على وجهه ..

قال :

- لقد حجب الدم قسمات وجهه ..

وصاح "هولمز":

- ياللشيطان .. إنه ليس "لوبين".

- كيف علمت ؟ إنك لم تفحصه بعد ..

فعض "هولمز" على شفتيه وقال :

إن "ارسين لوبين" ليس الرجل الذي يقتل نفسه .

- ولكننا رأيناه في الخارج وخيل إلينا أنه "أرسين" لوبين"

- خيل إلينا ذلك لأننا أردنا أن يكون الأمر كذلك .. إن هذا الرجل يسيطر على أخيلتنا ويرزح على صدورنا، ويكاد يحطم أعصابنا.

- إذن لابد أن يكون هذا أحد أعوانه .

- إن أعوان "أرسين لوبين" لاينتحرون .

- من يكون إذن ؟.

فتشا ثياب الجثة، فوجد "هولمز" في أحد الجيوب محفظة خالية، ووجد "جانيمار" في جيب آخر بضعة فرنكات. ولم يجد في ثيابه أية إشارة يمكن أن ترشد إلى هويته .

أما حقائبه الثلاث، فلم يكن بها إلا بعض الثياب الداخلية والخارجية.

ووقع بصر "جانيمار" على مجموعة من الصحف فوق الموقد، ففحصها، ووجدها كلها تتحدث عن سرقة المصباح الفضي ..

انصرف "هولمز" و"جانيمار" بعد نحو ساعة، وهما مازالا يجهلان شخصية الرجل الذي أدى تدخلهما إلى انتحاره .

ترى من يكون هذا الرجل ؟ولماذا انتحر؟ وما العلاقة بينه وبين

حادث المصباح الفضي ؟ ؟ ومن الرجل المجهول الذي كان يراقبه ويطارده على ضفة النهر ؟

كلها أسئلة غامضة .. لا يوجد ما يلقي عليها بصيصا من الضوء .

وقد أوى "هولمز" إلى فراشه في تلك الليلة وهو جد مكتئب مهموم.

وفي الصباح، تلقى البرقية التالية :

«يتشرف "أرسين لوبين" بأن ينهي إليكم نبأ موته في شخص "بريسون"، ويسره أن يدعوكم للاشتراك في تشييع جنازته، التي ستشيع على نفقة الدولة في صباح الخميس ٢٥ يونيه » .

الفصل الخامس

قال "هولمز" محدثا صديقه "وطسون" وهو يلوح بالبرقية التي بعث بها "لوبين" إليه :

- إن ما يضايقني في هذه القضية أيها الصديق، أنني أحس دائما بعيني ذلك الشيطان ترقبانني، وتحصيان علي الحركات والسكنات .. إنه يكاد يعرف كل أفكاري ويقرأ خواطري التي لا أتحدث بها إلى أحد حتى ولا إلى نفسي .. إنني أشبه بالممثل الذي يعمل ويتكلم في حدود الإطار الذي رسمه له المخرج .. إنه يخطو هذه الخطوة، وينطلق بهذه الكلمة لأن إرادة عليا تحتم عليه أن يفعل ذلك .. هل تفهم ما أعني يا "وطسون" ؟؟

ومن المحقق أن "وطسون" لم يفهم شيئا، فقد كانت حرارته تتأرجح بين الأربعين والحادية والأربعين . ولكن ذلك لم يكن يهم "هولمز" الذي استطرد قائلا :

- لقد كان يتعين علي أن أستعين بكل مواهبي واستنجد بكل شجاعتي لكيلا يتطرق اليأس إلى نفسي .. ومن حسن الحظ أن هذه الدعابات الصغيرة أشبه بوخزات الدبوس..

لأنها توقظني من خمولي وتستثير همتي، وكلما هدأت آلام الوخزات، واندملت جراح كرامتي، قلت لنفسي: دعه يعبث كما يشاء، فسوف ينتهي به الأمر إلى أن يوقع بنفسه ..

والواقع، ألم تكن أولى دعابات "لوبين"، أو بمعنى آخر،

أولى برقياته، هي التي أوحت إلى "هنربيتا" بأن تحدثني عن الحروف المنزوعة ؟

ألم يفضح نفسه بهذه الدعابة ويكشف لي عن الطريقة السرية التي يتراسل بها مع "أليس ديمون".

تلك حقيقة يجب الا تغيب عن بالك أيها الصديق العزيز.

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً بخطى مسموعة أزعجت "وطسون" وأقلقت راحته .

واستطرد "هولمز" قائلا :

- ومهما يكن من أمر فإن الموقف ليس من السوء كما قد تبادر إلى ذهنك أيها الصديق.. صحيح أنني أسير في مسالك مظلمة، ولكني بدأت أتبين مواقع قدمي. إن أول ما يجب عمله هو معرفة حقيقة مسيو "بريسون"، ودوره في المأساة، وأنا على موعد مع "جانيمار" على ضفة نهر السين في المكان الذي ألقى فيه "بريسون" الحزمة التي كان يتأبطها. ومن المحقق أننا سنميط اللثام عن سر هذا الرجل .. ثم تأتي بعد ذلك المعركة بيني وبين "أليس ديمون" ... وغريمتي في هذه المعركة مخلوقة رقيقة يسهل تحطيمها...

وثمة شيء آخر ينبغي أن أعرفه .. هو سر الرسائل الرمزية التي تقتطع "أليس ديمون" حروفها وأرقامها من الصحف والكتب، أنا واثق يا "وطسون" أن هذه الرسائل هي مفتاح اللغز كله ..

أقبلت "أليس ديمون" في هذه اللحظة، وما إن رأت "هولمز" يلوح بيديه ويتحدث بصوت مرتفع حتى قالت له في رفق :

- إنك تزعج مريضي ولن أغفر لك ذلك .. ألا ترى أنه مستغرق في النوم، لقد أوصى له الطبيب بالراحة التامة والهدوء المطلق .

فحملق "هولمز" بعينيه دون أن ينطق بكلمة،وقد أدهشه في هذه المرة كما أدهشه في المرة السابقة، ما يبدو عليها من مظاهر الهدوء .

قالت له :

- لماذا تنظر إلي هكذا يا مستر "هولمز" ؟ لا شيء ؟ كلا.. بل يوجد شيء .. وربما أشياء .. إن نظراتك إلي توحي بأنك تكتم أمرا .. فما هو أرجوك أن تجيب ..

كانت تستجوبه وتسأله بكل جارحة من جوارحها .. بوجهها الصبوح وبعينيها الساحرتين، وبفمها الباسم، وبموقفها أمامه ويداها معقودتان فوق صدرها البارز .

كان كل شيء فيها صريحا هادئا.. مما أثار "هولمز" وأغضبه...
اقترب منها فجاة وقال لها بصوت خافت :
- لقد انتحر "بريسون" أمس .
فرددت، دون أن يبدو عليها أنها فهمت :
- بريسون" انتحر أمس ...
ولم تتحرك عضلة واحدة في وجهها، ولم يبد عليها أنها تكذب، أو تحاول ستركذبها .
قال لها في ضيق وغضب :
- لابد أنك علمت بالأمر .. وإلا لارتجفت على الأقل .
يخيل إلي أنك أقوى كثيراً مما ظننت، ولكن لماذا الخداع ؟
وأخرج الكتيب من جيبه، وفتحه عند الصفحة التي انتزعت بعض حروفها وأرقامها وقال :
- هل يمكنك أن ترشديني إلى الطريقة التي ينبغي أن ترتب بها الحروف والأرقام الناقصة من هذا الكتيب حتى يمكن معرفة مضمون الرسالة التي بعثت بها إلى "بريسون" قبل سرقة المصباح الفضي بأربعة أيام ؟
- الطريقة التي ينبغي أن ترتب بها الحروف ؟ "بريسون"؟ المصباح الفضي ؟..
وقد نطقت بهذه الكلمات في بطء كانها تحاول أن تفهم معناها .
ولم يزده إنكارها إلا إصرارا ..قال :
- نعم .. ها هي ذي الحروف والأرقام قد سجلتها على هذه الورقة .. فماذا أردت أن تقولي لـ "بريسون" ؟
- الحروف والأرقام ... ماذا أردت أن أقول ....وانفجرت ضاحكة بغتة وصاحت :
- آه .. فهمت .. إنني شريكة في حادث السرقة ...
يوجد شخص يدعى "بريسون" سرق المصباح الفضي ثم انتحر.. وأنا شريكة هذا الشخص وصديقته .. ها ..ها يالها من قصة مسلية!!
- إذن من ذا الذي ذهبت لزيارته ليلة أمس بالطابق الثاني من منزل بشارع تيرن ؟

- من ؟ ذهبت لزيارة الآنسة لانجيه التي تصنع لي ثيابي.. فهل الآنسة لانجيه ومسيو "بريسون" شخص واحد ؟

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل "هولمز" في ريبة من أمرها ... إن الإنسان يستطيع أن يصطنع الذعر والسرور والقلق ، ولكنه لا يستطيع أن يصطنع قلة الاكثرات .. أو أن يطلق مثل هذه الضحكة المرحة .

قال لها :

- كلمة أخيرة .. لماذا حرصت على مقابلتي في المحطة ؟

ولماذا توسلت إلي أن أعود أدراجي فورا ولا اهتم بهذه القضية؟

فاجابت وهي لا تزال تضحك ضحكتها المرحة الطبيعية

- إنك شديد الفضول يا مستر "هولمز"، وعقابا لك لن اذكر لك السبب، وأكثر من ذلك انني ساتركك للعناية بصديقك المريض ريثما اذهب إلى الصيدلية لشراء بعض العقاقير الضرورية التي أمر بها الطبيب ..إلى اللقاء يا مستر "هولمز" .

وانصرفت ...

قال "هولمز" لنفسه :

- لقد هزأت بي ... ولم يقتصر الأمر على انني لم استطع ان استخلص شيئا منها ... ولكني كذلك قد كشفت أوراقي أمامها ...

وراح يتساءل .. ترى هل قدر له مرة أخرى أن يجد نفسه أمام إحدى أولئك النساء اللائي دربهن "لوبين" على اصطناع الهدوء التام في أشد المواقف حرجا .. وأمام اهول الأخطار ؟

وفجأة، سمع صوتا يناديه :

- "هولمز" ..."هولمز" فاقترب من فراش "وطسون" وانحنى فوقه وساله:

- ماذا بك أيها الصديق العزيز ؟ هل تتالم ؟

فاهتزت شفتا "وطسون" . لكنه لم ينطق بكلمة ..

وبعد جهد كبير استطاع أن يتمتم :

- كلا يا "هولمز" ... ليست هي ... لا يمكن أن تكون هي .

- ماذا تقول ؟ أوكد لك انها هي .. إنها شريكة "لوبين" ما في ذلك شك.. فإنني لا افقد اتزاني واتصرف بمثل هذه الحماقة إلا امام مخلوقة تدربت على يد "لوبين" .

ها هي ذي قد عرفت قصة الحروف المنزوعة ... وأوكد لك أنه لن تمضي ساعة حتى يكون "لوبين" قد علم بالأمر .. هل قلت ساعة؟ إنه سيعلم بالأمر فورا، وما حكاية الصيدلية والدواء إلا خدعة ...

* * *

وانطلق في اثر الفتاة، واجتاز شارع مسينا، ورأى الفتاة تدخل إحدى الصيدليات، ثم رآها تنصرف بعد بضع دقائق وبيدها زجاجات وقناني محزومة في ورقة .

سارت الفتاة في طريقها، ولاحظ "هولمز" أن رجلا يتبعها وقبعته في يده كانه يطلب صدقة ..

توقفت الفتاة لحظة، ووضعت قطعة من النقود في قبعة السائل ثم واصلت سيرها ..

قال "هولمز" لنفسه :

- إنها تحدثت إليه .

قال ذلك عن وحي لا عن يقين، ووقف مترددا لحظة، ثم قرر أن يترك الفتاة ويطارد السائل المزيف .

وصل الرجلان، السائل و"هولمز" إلى ميدان سان فردينان، وهناك تلكأ السائل طويلا أمام بيت "بريسون" ورفع عينيه مرارا إلى نوافذ الطابق الثاني، وراقب بعناية كل من دخل المنزل أو غادره.

وبعد نحو ساعة ، وثب السائل إلى الترام المتجه إلى «نويلي»، فتبعه "هولمز" . وجلس في الترام وراءه بجوار رجل تحجب الصحيفة التي يقرؤها وجهه ..

وما إن غادر الترام بوابة «تيرن» حتى طوى الرجل الصحيفة، فنظر "هولمز" إلى وجهه وعرف فيه المفتش "جانيمار" .

وهمس "جانيمار" في أذن "هولمز" وهو يشير نحو السائل :

- هذا هو الرجل الذي رأيناه أمس يتعقب "بريسون" لقد قضى ساعة أمام منزل هذا الأخير .

فسأله "هولمز" :

- هل من جديد بشأن "بريسون" ؟

- لقد وردت إليه صباح اليوم رسالة تحمل اسمه وعنوانه .

- صباح اليوم؟ إذن لابد أن يكون الراسل قد كتبها أمس قبل أن يعلم بموته ..

- تماما ... والرسالة الآن بين يدي المحقق .. ولكني أذكر مضمونها.. لقد جاء فيها :

«إنه لم يقبل المفاوضة . . ويريد الاحتفاظ بكل شيء.. وخاصة الشيء الأول » .

واستطرد "جانيمار" قائلا :

- والرسالة بلا توقيع، وهي كما ترى، ألغاز لا تفيدنا شيئا .

فقال "هولمز" :

- إنني أخالفك في هذا الرأي يا مسيو "جانيمار"، وأرى على العكس أن لهذه الرسالة أهمية كبرى .

- وكيف ؟ ؟

- إن لدي من الأسباب الخاصة ما يحملني على هذا الاعتقاد .

وتوقف الترام عند نهاية الخط في شارع «شاتو»، فغادره السائل وراح يمشي في الطريق متمهلا، وتبعه "هولمز" عن كثب، فقال له "جانيمار" :

- أنك لا تترك مسافة كافية بينك وبينه، وإذا نظر وراءه فسيراك.

- إنه لن ينظر وراءه .

- وكيف علمت ؟

- إنه أحد أعوان "لوبين"، ومتى سار أحد أعوان "لوبين" على هذا النحو، ويده في جيبه، فمعنى ذلك أنه يعلم أن هناك من يتعقبه. ومعناه أيضا أنه لا يخشى شيئا .

- إن ذلك لا يبرر اقترابنا منه إلى هذا الحد .

- بل يجب أن نزداد اقترابا منه حتى لا يفلت من أيدينا في أية لحظة .. إنه شديد الثقة بنفسه .

- ألا ترى بالمقهى اثنين من رجال البوليس راكبي الدراجات؟ كيف يتسنى لصاحبنا الإفلات إذا أمرت رجلي البوليس باعتقاله؟ - يخيل إليّ أن هذا الشخص لا يخشى الاعتقال .. بل لعله يسعى إليه .

- يا إلهي ... ما أقوى أعصابه !!

والواقع، أن السائل اقترب من رجلي البوليس وهما يهمان بركوب دراجتيهما، وقال لهما شيئا، ثم تناول دراجة ثالثة كانت مسندة إلى جدار المقهى فركبها، ولحق برجلي البوليس .

وهنا لم يتمالك "هولمز" نفسه من الضحك .

قال :

- الم أكن على حق .. لقد لاذ الرجل بالفرار .. وكيف؟ بمساعدة اثنين من رجالك يا مسيو "جانيمار" .. إن لـ "ارسين لوبين" أعوانا بين رجال البوليس .. الم اقل لك إن الرجل واثق من نفسه أكثر مما يجب ؟

فصاح "جانيمار" في غضب :

- دعنا نتعقبهم .. ولكننا في حاجة إلى نجدة .

— وما العمل الآن ؟

- إن "فولنفان" ينتظرني في نهاية شارع "نويلي" .

- حسنا .. اذهب إليه .. ثم الحقا بي .

* * *

ابتعد "جانيمار" ، وسار "هولمز" في أثر الدراجات الثلاث وكان طابعهما واضحا في أرض الشارع .

ولاحظ "هولمز" بعد قليل ، أن الدراجات الثلاث قد انحرفت نحو نهر السين ، في نفس الطريق الذي سلكه "بريسون" أمس .

ووصل الإنجليزي إلى المكان الذي توارى فيه مع "جانيمار" في اليوم السابق حين هبط "بريسون" إلى شاطئ النهر ، ولاحظ "هولمز" من آثار الدراجات أن الرجال الثلاثة قد توقفوا في ذلك المكان .

ونظر "هولمز" إلى النهر، فرأى امامه لسانا من الأرض يمتد داخل النهر، وعند نهايته قارب صيد قديم .

وكان الماء بالقرب من الشاطئ قليلا ...

لابد أن يكون "بريسون" قد ألقى الحزمة في هذه البقعة، فإذا بحث عنها "هولمز" فسوف يجدها، ما لم يكن الرجال الثلاثة قد سبقوه إليها.

قال لنفسه :

- كلا ...كلا ... إنهم لم يجدوا متسعا من الوقت للبحث والتنقيب.. إن ربع ساعة لا يكفي ولكن ترى أين ذهبوا ؟

رأى صيادا يجلس في القارب العتيق فسأله :

- هل رأيت ثلاثة رجال يركبون الدراجات ؟

فهز الصياد رأسه علامة النفي .

فقال "هولمز" بإصرار :

- قلت لك ثلاثة رجال ... لقد توقفوا هنا على بعد ثلاث خطوات منك.

فتناول الصياد من جيبه مفكرة قطع منها ورقة كتب عليها شيئا وقدمها لـ"هولمز" .ومرت بجسد "هولمز" رعدة شديدة حين تناول الورقة ورأى فيها الحروف والأرقام التالية :

أ . أ . أ . ب . ج . ر . س . ف . ك . ن . و . ى . - ٧٣٢ .

* * *

كانت الشمس تسطع بشدة، فارخى الصياد قبعته على راسه ، واستانف الصيد باهتمام شديد .

وساد صمت قصير مؤلم ..

قال "هولمز" :

- إنه هو .. لا أحد سواه يستطيع أن يجلس هكذا هادئ الأعصاب غير عابئ بما يدور حوله .. ثم من سواه يعلم بامر الحروف والأرقام المنزوعة من الكتيب ؟ لابد أن تكون "اليس ديمون" قد أرسلت إليه من يحذره وينذره بأنني قد امسكت بطرف الخيط .

وفجاة امتدت يد الإنجليزي إلى مسدسه ، وتعلقت عيناه بظهر الصياد...

إن رصاصة واحدة، تكفي لوضع حد للماساة، وإنهاء حياة هذا المغامر الخطير .

لم يات الصياد بحركة، ولم ينظر يمنة أو يسرة .. وتملكت "هولمز" رغبة شديدة في أن يطلق من مسدسه رصاصة تقضي على غريمه العتيد.. ولكنه أحس في الوقت نفسه بالاشمئزاز من هذا الغدر الذي لا يتفق مع طبيعته وخلقه .

قال لنفسه :

- ليته ينهض ليدافع عن نفسه فقط ...

ولكنه سمع في هذه اللحظة جلبة على الشاطئ، فنظر حوله، ورأى "جانيمار" وأعوانه مقبلين .

وهنا خطر له خاطر نفذه في الحال. فوثب إلى القارب بسرعة وأطبق على غريمه، وتماسك الاثنان، وتدحرجا في أرض القارب .

صاح "لوبين" وهو مشبتك مع غريمه :

- وبعد، فماذا ستكون النتيجة ؟ هب أن أحدنا تغلب على الآخر فماذا يفعل به ؟ سنظل هنا معا في قاع القارب، وكل منا ينظر إلى الآخر في بلاهة..

كان المجدافان قد انزلقا وسقطا في الماء، وحمل التيار القارب وقذف به إلى وسط النهر، وارتفعت من الشاطئ صيحات الذعر والهلع .

واستطرد "لوبين" قائلا :

- أرايت نتيجة طيشك... كيف تقدم على مثل هذه السخافات وأنت في هذه السن .

وتخلص من غريمه، فنظر إليه "هولمز" في سخط، ومد يده إلى جيبه ليشهر مسدسه، ولكنه لم يجد المسدس، فقد سرقه "لوبين" حين اشتبك معه دون أن يشعر به .

قذف التيار أحد المجدافين على مقربة من القارب، فمد "هولمز" يده ليلتقطه فقال "لوبين" :

- وما الفائدة !! إذا التقطته فسوف أمنعك من استخدامه .

...أرايت ؟ أن الحظ يخدم صديقه "لوبين" .. وها هو ذا القارب يبتعد عن الشاطئ ...

ثم صاح بغتة :

- حذار يا "هولمز" .

واحنى رأسه بسرعة، وحذا "هولمز" حذوه ... فقد أطلق بعضهم رصاصة من الشاطئ مرت فوق رأسيهما ..

قال "لوبين" :

- إنه صديقنا "جانيمار" سامحه الله .

ثم صاح بأعلى صوته :

- هذا خطأ جسيم يا "جانيمار" .. القانون لا يسمح لك بإطلاق

الرصاص إلا في حالة الدفاع عن النفس ... إن حنقك على "لوبين" الطيب قد أنساك واجباتك أيها المسكين ..

ها هو ذا يعود إلى إطلاق النار مرة أخرى .. حذار أيها الاحمق وإلا أصبت أستاذنا العظيم .

قال ذلك واتخذ من "هولمز" درعا يتقي به رصاصات "جانيمار" وصاح بهذا الأخير :

- الآن .. في استطاعتك ان تطلق الرصاص كما تشاء يا "جانيمار" .. صوب إلى القلب .. إلى اليسار قليلا ...

قبحك الله .. لقد أخطأت الهدف .. أن يدك ترتجف ..

أليس كذلك يا "جانيمار" .. هل تريد أن تعيد الكرة ؟ حسنا .. صوب نحو القلب .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. اطلق النار .. ها انت قد أخطأت للمرة الثالثة .. لابد أن الحكومة تعطيك مسدسات من لعب الأطفال .

قال ذلك واخرج من جيبه مسدسا أطلقه دون تصويب فطارت القبعة عن رأس "جانيمار" ..

صاح :

- ما قولك في هذا المسدس يا "جانيمار" ؟ ؟ إنه جيد الصناعة، أرفعوا قبعاتكم تحية لمسدس صديقي النبيل شرلوك "هولمز" ...

وقذف بالمسدس بكل قوته، فسقط على الشاطئ تحت قدمي "جانيمار".

* * *

لم يتمالك "هولمز" نفسه من الابتسام إعجابا بهذا الشيطان المريد ..

يا إلهي .. من لهذا الرجل العجيب كل هذه الحيوية وهذا النشاط؟! إنه يجد متع الحياة كلها في مواجهة الأخطار .. وإذا لم تات الاخطار إليه ، راح يبحث عنها كما لو كانت هذه الأخطار هي قوام حياته .

* * *

ازدحمت ضفتا النهر بالجماهير التي أثار فضولها هذا الصراع الممتع بين رجال البوليس و"لوبين" .. وأخذ "جانيمار" ورجاله يتبعون القارب على الشاطئ ، وهم على يقين من أن اعتقال "لوبين" أصبح أمرا

مؤكدا .

تحول "لوبين" إلى "هولمز" وقال له :

- أعترف يا أستاذي بانك لست على استعداد لأن تكون مكاني، حتى ولو أعطوك كل ذهب الترنسفال .. هذا هو الفصل الأول من المسرحية، ولكن الفصل الخامس سياتى فورا، وفيه يتقرر مصير "لوبين". فإما الهرب وإما الاعتقال .

ولذلك فإنني انتهز هذه الفرصة لالقي عليك سؤالا أرجو أن تجيب عنه في صراحة بكلمة نعم، أو لا .

هل تنوي التخلي عن هذه القضية أم لا ؟ لا يزال في الوقت متسع لإصلاح ما افسدت .. اما إذا مضيت بالقضية أكثر من ذلك فسوف يتعذر إنقاذ الموقف ..

فاجاب الانجليزي باقتضاب :

- كلا ...

فعض "لوبين" على شفتيه ..

كان من الواضح أن عناد "هولمز" قد ضايقه.

قال :

- إنني اصر .. من أجلك أكثر مما هو من اجلي . انا واثق من أنك ستكون أول من ياسف على تدخلك في هذه القضية .. والآن، للمرة الأخيرة .. نعم أم لا ..

- لا

فانحنى "لوبين"، وازال لوحا من الخشب من قاع القارب وقضى بضع دقائق في عمل لم يدرك "هولمز" كنهه أو مرماه ..

ثم اعتدل في جلسته وقال يحدث "هولمز" :

- أعتقد يا أستاذي العزيز اننا قد جئنا إلى الشاطئ لغرض واحد هو العثور على الحزمة التي القى بها "بريسون" في النهر .. أليس كذلك ؟ وكنت قد اتفقت مع بعض أعواني على الاجتماع هنا للبحث عن الحزمة. وقد جاءوا فعلا وأنذروني بقدومك، ولم يدهشني ذلك بطبيعة الحال، لأنني أعرف خطواتك في التحقيق أولا بأول ... إن كل ما يحدث

في قصر شارع موريللو يبلغ إليّ فورا بالتليفون .

* * *

كف عن الكلام، وكان الماء قد بدأ يتسرب إلى القارب من مكان اللوح الخشبي الذي انتزعه "لوبين"، وبلل الماء أقدامهما، فنظر "لوبين" إلى غريمه من ركني عينه وقال :

– لا شك أنك لست خائفا ..

فهز "هولمز" كتفيه ولم يجب .

ومضى "لوبين" في حديثه، قائلا :

– قلت لك إن كل ما يحدث في قصر شارع موريللو يبلغ إلي فورا بالتليفون، وذلك يفسر لك أشياء كثيرة .. ويفسر بصفة خاصة مسالة الرسالة التي بعثت بها إليك في لندن ..

فقد كنت أعلم سلفا أنك تنشد الدخول معي في نضال بقدر ما انشد أنا اجتناب هذا النضال، ولذلك قررت أن اجتذبك إلى هذه المعركة التي أعلم أنني سانتصر فيها لانني أمسك بجميع الخيوط، وحرصت على الإعلان عن هذه المعركة في أوسع نطاق، حتى يتحدث الناس عن هزيمتك المنكرة فلا يلجأ إليك أحد بعد ذلك لمعالجة قضاياه، ولا يستعديك أحد علي كما فعلت الكونتس دي كروزون في حادثة الماسة الزرقاء وكما فعل البارون دامبلفال في حادث المصباح الفضي .. هل فهمت وجهة نظري يا أستاذي العزيز ؟

قال ذلك ونظر طويلا إلى الشاطئ وهتف :

– يا إلهي .. لقد حصلوا على زورق ضخم كانه بارجة حربية ... وها هم أولاء يجدفون بقوة .. وسيصلون إلينا قبل انقضاء خمس دقائق .. ومعنى هذا انني ضعت ...

أصغ إلي يا مستر "هولمز"، لماذا لا تنقض علي وتشد وثاقي وتسلمني إلى رجال العدالة قبل أن يصلوا إلي، ليكون لك وحدك شرف اعتقال "أرسين لوبين" ؟ يخيل إلي أنه لا نجاة لي من أيدي البوليس إلا بغرق القارب، وفي هذه الحالة يتعين على كل منا أن يبادر بكتابة وصيته .. فما رأيك في ذلك يا مستر "هولمز" ؟

وتلاقت عيونهما .. وفهم "هولمز" لعبة غريمه ..

لقد ثقب "لوبين" قاع القارب، وبدأ الماء يرتفع حتى غمر أقدامهما .
وأخرج الإنجليزي غليونه، وراح يدخن في هدوء .
ومضى "لوبين" في حديثه، قال :
- والآن يا أستاذي العزيز،ألا ترى في حديثي هذا اعترافا بعجزي أمامك، وإنني لا أختار من المعارك معك إلا ما أكون واثقا فيه من النصر؟
إنني أشكر الظروف التي هيأت لي الاجتماع بك لأقول لك هذا الكلام...
شيء واحد يحزنني .. هو أنني أقول لك هذا الكلام وأقدامنا في الماء مما يفقد كلامي بعض وقاره .

* * *

ووصل الماء في ارتفاعه إلى حافة المقعد الذي يجلسان عليه، وبدأ القارب يغوص في الماء بالتدريج. ومع ذلك لم يبد على أيهما شيء من دلائل الانزعاج .. فقد راح "هولمز" ينظر إلى السماء ويدخن في هدوء كأن شيئا مما يجري حوله لا يهمه من قريب أو من بعيد ..
والواقع،أنه لم يكن في الدنيا ما يمكن أن يحمل هذا الإنجليزي على إبداء أي دليل على القلق أو الاهتمام، أمام غريمه الذي يرى نفسه مهددا بالأخطار، ورجال البوليس يحدقون إليه من كل ناحية، والجماهير المحتشده على ضفتي النهر تتوقع هلاكه أو اعتقاله بين لحظة وأخرى. ومع ذلك لم يفقد شيئا من مرحه ورباطة جاشه .
كان يخيل إلى الناظر إليهما أنهما يقولان بصوت واحد : وماذا يهم إذا غرقنا !! ألا يبتلع النهر كل يوم عشرات من الناس؟
واستمر أحدهما في هذره ودعاباته، واستمر الثاني بدخن في هدوء.. وكلاهما أحرص على كبريائه من أن تبدر منه بادرة تنم عن الاهتمام أو القلق .
ولم تبق إلا لحظة واحدة ويغوص القارب في الماء .

* * *

قال "لوبين"

- المهم أن نعرف هل سنغرق قبل وصول رجال العدالة أو بعد وصولهم .. لأن غرقنا أصبح أمراً مقطوعاً به، ولم يبق إلا أن نكتب وصيتنا .. أنا شخصيا ساوصي بكل ثروتي لصديقي شرلوك "هولمز". المواطن الانجليزي العظيم .. ولكن ما هذا ؟ إن القوم يقتربون منا بسرعة مذهلة..

انظر إلى المجاديف كيف تتحرك بقوة وانتظام .. برافو أيها الضابط "فولنفان"، سوف أرشحك للحصول على وسام .. وصديقك «ديوزي» أين هو ؟ على الضفة اليسرى أليس كذلك؟ ومعنى هذا أنني إذا نجوت من الغرق ... التقطني "ديوزي" على الضفة اليسرى، أو "جانيمار" على الضفة اليمنى .. فيالها من مشكلة !!

وفي هذه اللحظة اهتز القارب وأخذ يدور حول نفسه، فامسك "هولمز" بحافته وقال "لوبين":

- أتوسل إليك أن تخلع ثيابك يا أستاذي العزيز لكي تكون اقدر على السباحة.. كلا؟ هل ترفض؟ على رسلك إذن .. ساحذو حذوك..

* * *

واخيراً خرج "هولمز" عن صمته ..

قال :

- إنك تتكلم كثيراً يا مسيو "لوبين"، وغرورك المفرط أوقعك في الزلل.

- هذا تانيب صارم يا أستاذي ..

- الواقع، أنك قدمت إلي - دون أن تشعر - معلومات خطيرة كنت أبحث عنها ..

- ماذا تعني ؟ هل كنت تبحث عن معلومات دون أن تقول لي ؟ لماذا لم تطلبها مني .

- لست بحاجة إلى أحد .. الساعة الآن الثالثة...

في الساعة السادسة تماما ساقدم للبارون دامبلفال مفتاح السر .. هذا هو الجواب الوحيد الذي ...

ولم يتم عبارته، فقد غرق بهما القارب فجاة وغاص تحت الماء... وبعد لحظة، طفا ثانية ولكنه كان مقلوبا. وارتفعت صيحات الفزع على ضفتي النهر، ثم ساد صمت رهيب .

وفجاة، افلتت آهات الارتياح من افواه أولئك الذين كانوا يشهدون المأساة... فقد ظهر أحد الرجلين على سطح الماء ...

كان الرجل الذي ظهر هو "هولمز" .. وكان يحسن السباحة فشق طريقه بسهولة إلى قارب" فولنفان" .. والقى" فولنفان" بحبل ليمسك به..

ولم يكد الانجليزي يمسك بالحبل حتى سمع وراءه صوتا يقول :

- مفتاح السر؟ من عجب انك لم تعرفه قبل الآن يا أستاذي .. ولكن ماذا ستفيد منه ؟ ؟ إن الفائدة الوحيدة التي ستجنيها هي الفشل .. والهزيمة ..

فنظر "هولمز" خلفه، ورأى "لوبين" جالسا بارتياح على ظهر القارب المقلوب كما يجلس الانسان على ظهر الجواد.

ومضي "لوبين" يقول بصوت مرتفع :

- هل فهمتني يا أستاذي ؟ ستجد نفسك في موقف لا تحسد عليه .. موقف رجل ...

وهنا صاح "فولنفان" :

- سلم نفسك يا "لوبين" .

فصاح "لوبين"

- إنك رجل قليل الذوق يا "فولنفان" .. كيف تقطع علي حديثي؟ كنت اقول إن ..

- سلم نفسك يا "لوبين".

- أصغ إليّ يا "فولنفان" .. إن الإنسان لا يستسلم إلاّ إذا احدق به الخطر .. ولا أظنك تزعم أنني الآن في خطر .

- إنني ادعوك للمرة الأخيرة أن تسلم نفسك يا "لوبين" .

- لا شك أنك لا تنوي قتلي يا عزيزي "فولنفان" .. إنك حريص على

اعتقالي وأنا على قيد الحياة .. أو وأنا جريح على الأقل .. ولكن هب أنك أصبتني إصابة قاتلة ؟؟ تذكر ما سوف تشعر به من وخز الضمير في شيخوختك عندما ..

وأطلق "فولنفان" الرصاص .

ترنح "لوبين" ، وسقط في الماء ...

* * *

وقعت هذه الحوادث في الساعة الثالثة ، وفي الساعة السادسة تماما ، كان "هولمز" في قاعة الاستقبال الملحقة بمخدع البارون كما وعد.

كان يرتدي سروالا قصيرا ، وقميصا ضيقا ، وقبعة صغيرة ، استعارها جميعا من صاحب حانة في "نويلي" .

وكان قد أرسل أحد الخدم لإخطار البارون وزوجته بزيارته ، فلما لحقا به في قاعة الاستقبال ، وأبصرا به مرتديا تلك الثياب الغريبة ، بذلا جهدا كبيرا لكيلا يستغرقا في الضحك .

وجداه يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، من النافذة إلى الباب ، ومن الباب إلى النافذة ، بخطى متساوية ، كأنه إنسان آلي يتحرك أوتوماتيكيا .

توقف "هولمز" عن السير لحظة ، وتناول إحدى التحف ، وفحصها بعينين شاردتين ثم أعادها إلى موضعها واستأنف السير .

وأخيرا وقف أمامهما وسأل :

- هل الآنسة هنا ؟

فأجاب البارون :

- إنها في الحديقة مع الطفلتين .

- أصغ إليّ يا سيدي البارون .. إن اجتماعنا الآن سيكون حاسما ، ولذلك أود أن تشترك فيه الآنسة "اليس ديمون" .

- هل أنت على يقين من ..

- تذرع بالصبر يا سيدي، وسوف تتبلج لك الحقيقة من خلال الوقائع التي سأسردها في جلاء ووضوح.

- على رسلك...

ثم تحول إلى زوجته واستطرد:

- سوزان! هل لك في استدعاء "أليس ديمون" !

فخرجت البارونة وعادت بعد قليل وبرفقتها "أليس ديمون".

كانت الفتاة شاحبة الوجه خلافا للمألوف. وقد ظلت واقفة ومستندة بيدها على إحدى الموائد .. ولم تسأل عن السبب في دعوتها.

وبدا على "هولمز" كأنه لم يرها .

وتحول الانجليزى إلى البارون وقال :

- بعد تحقيق استغرق بضعة أيام ورغم أن بعض الأحداث قد حملتني على تغيير وجهة نظري مؤقتا، فانني يا سيدي أكرر لك ما قلته منذ اللحظة الاولى، وهو أن المصباح الفضي قد سرق بواسطة شخص يقيم في هذا القصر .

- ما اسمه يا سيدي ؟

- إنني أعرفه .

- والأدلة ؟

- عندي من الأدلة ما يكفي لإدانته .

- إن الإدانة لا تكفي .. بل يجب كذلك أن يعيد إلينا .. فقاطعه "هولمز":

- يعاد إلينا المصباح الفضي ؟ إنه معي .

- وعقد اللؤلؤ .. وعلبة التبغ المرصعة بالماس ؟

- عقد اللؤلؤ .. وعلبة التبغ .. وجميع التحف التي سرقت في المرة الثانية كلها معي .

* * *

كان "هولمز" شغوفا بالمفاجآت، وقد اعتاد أن يعلن انتصاراته بمثل هذه الطريقة الجافة .

وراح "هولمز" يسرد عليهما حوادث الأيام الثلاثة الأخيرة حدثهما عن الكتيب والحروف والأرقام المنزوعة، وعن مطاردته لـ "بريسون"،

وانتحار هذا المغامر، وعن النضال الذي قام بينه وبين "لوبين"، وعن غرق القارب، واختفاء "لوبين" .

ولما فرغ من حديثه قال للـ "بارون" بصوت خافت :

- لم يبق إلا أن تكشف لنا عن الفاعل فمن تتهم؟

- إنني أتهم الشخص الذي قطع الحروف من الكتيب واتخذها أداة لمراسلة "أرسين لوبين" ؟

- وكيف علمت أن الشخص الذي كان المتهم يراسله هو "أرسين لوبين" .

- علمت ذلك من "لوبين" نفسه .

وأخرج من جيبه ورقة مهشمة ومبتلة بالماء هي الورقة التي كتبها "لوبين" في القارب ودفع بها إلى "هولمز" .

قال الإنجليزي وعلى وجهه دلائل الارتياح :

- يجب أن تلاحظ أن أحدا لم يرغمه على كتابة هذه الورقة التي كشفت لي عن شخصيته، إنه فعل ذلك بدافع الغرور والإحساس بالتفوق . ولكنه تصرف صبياني أفادني كثيرا وأضاء لي الطريق.

فقال "البارون" وهو يفحص الورقة :

- وكيف أفادك ؟ إنها نفس الحروف والأرقام المنزوعة من الكتيب، كما ذكرتها لنا منذ لحظة.

- كلا .. انها ليست نفس الحروف.. انظر إليها جيدا .

فقرأ "البارون" في الورقة :

أ . ا . آ . ب .ج. ر . س . ف . ك . ن . و . ى . - ٧٣٢ .

قال :

- يخيل إلي أنها هي بعينها .

فقال "هولمز" :

- هذه الحروف تزيد خمسة عن الحروف التي اكتشفت انتزاعها من الكتيب والحروف الزائدة هى - أ . ر . س . ف . ن .

- الواقع أنني لم ألاحظ ذلك .

فقال "هولمز" :

- كان الترتيب المعقول الوحيد للحروف والأرقام التي اكتشفت نقصها من الكتيب هو (أجب - ايكو ٧٣٢) وهي كلمات لا معنى لها .. ولكن إذا أعدنا ترتيب الحروف الخمسة التى زادها "لوبين" واضفناها إلى هذه الكلمات وجدنا هذه العبارة : (أجب - ايكو فرانس ٧٣٢)

- وما معنى (ايكو فرانس)

- معناها (ايكو دي فرانس) وهو اسم جريدة "ارسين لوبين" التي ينشر بها مغامراته ورسائله .. فيكون معنى العبارة: (اجب في جريدة ايكو دي فرانس في قسم الإعلانات الصغيرة تحت رقم ٧٣٢).

هذه العبارة هي مفتاح السر الذي كنت ابحث عنه بلا جدوى . فتطوع "لوبين بتقديمه إلي بظرفه المعهود ..

وقد عدت للتو من ادارة جريدة أيكو دي فرانس .

- وماذا وجدت ؟

- وجدت قصة العلاقة بين "أرسين لوبين" و .. شريكته مفصلة بوضوح تام .

قال ذلك ووضع أمام "البارون" سبعة أعداد مختلفة من الجريدة فتحها جميعا عند الصفحة الرابعة، حيث ينشر باب الإعلانات الصغيرة، وأشار إلى سطر في كل عدد من الأعداد السبعة.

والسطور السبعة هي :

١ - ارس . لوب - سيدة تطلب حمايتك ٥٤٠

٢ - ٥٤٠ - إنني انتظر التفصيلات - ٧٣٢

٣ - ٧٢٣ - إنني تحت رحمة العدو

٤ - ٥٤٠ - اكتبي العنوان - ساقوم بالتحقيق

٥ - ٧٣٢ - ١٨ شارع موريللو

٦ - ٥٤٠ - حديقة مونسو، الساعة الثالثة، زهرة بنفسج .

فصاح "البارون" :

- وهل تسمي ذلك قصة مفصلة واضحة؟

- بالتاكيد. لو أنك قرات هذه السطور بعناية وتفكير.

لوضحت لك الحقيقة كما وضحت لي فالقصة من البداية، هي قصة سيدة أطلقت على نفسها رقم ٥٤٠ وقد طلبت هذه السيدة من "لوبين" (الذي اتخذ لنفسه رقم ٧٣٢) أن يحميها، فرد عليها "لوبين" مطالبا بالإيضاح. وأجابت السيدة بانها تحت رحمة العدو - والعدو هنا هو "بريسون" بغير شك .

ويبدو أن "لوبين" لم يطمئن في البداية إلى المغامرة مع هذه السيدة . فطلب إليها أن توافيه بعنوانها ليقوم بالتحقيق .

وبمراجعة تواريخ الجريدة، نجد أن السيدة ترددت أربعة أيام قبل أن تذكر له عنوانها بشارع موريللو .

وفي اليوم التالي، كتب "لوبين" إلى السيدة يقول إنه سينتظرها بحديقة مونسو في الساعة الثالثة، وطلب إليها أن تضع على صدرها زهرة بنفسج كبيرة لكي يتعرف عليها.

وعلى أثر هذا اللقاء، انقطعت المراسلات بين "لوبين" والسيدة ثمانية أيام، ولا بد أنهما كانا يتقابلان خلال هذه الفترة أو أنهما يتراسلان مباشرة بغير وساطة الجريدة . وقد اسفرت هذه المقابلات عن خطة اتفق الاثنان على تنفيذها، وهي أن تسرق السيدة المصباح الفضي وتقدمه لـ "بريسون" ثمنا لسكوته.

كانت السيدة تكتب إلى "لوبين" بواسطة الحروف والأرقام المنزوعة من الكتب والصحف حتى لا يفضحها خطها، ويبدو أنها طلبت إليه تحديد موعد لتنفيذ الخطة، فلما تباطا كتبت إليه بالحروف المنزوعة من الكتيب تقول :

(٧٣٢ - اجب في الايكو دي فرانس)

فاجاب في الايكو دي فرانس بان الموعد هو ليلة الأحد، وإنه سيكون بانتظارها في حديقة مونسو لتوافيه بالمصباح .. وفي ليلة الاحد ..

تمت السرقة .

فهتف "البارون"

- الحق إنها قصة محبوكة، ومسلسلة تسلسلا منطقيا

قال "هولمز":

- وبينما السيدة في شغل بسرقة المصباح، كان "لوبين" يصطنع الآثار الزائفة في الحديقة والشرفة والنافذة لتضليل المحققين وإيهامهم بان اللص جاء من الخارج .

وفي صباح يوم الأحد، التقت السيدة بـ "لوبين"، وانباته بما فعلت، ثم حملت المصباح إلى "بريسون" .

وحدث ما توقعه "لوبين"، فقد اقتنع المحققون بأن اللص جاء من الخارج، واطمانت السيدة وأمنت شر الافتضاح .

فقال "البارون":

- كل هذا معقول، ولكن بم تفسر السرقة الثانية؟

- السرقة الثانية كانت نتيجة للسرقة الأولى . فقد تحدثت الصحف عن اختفاء المصباح الفضي من بين عدد كبير من التحف الثمينة. فخطر لبعضهم أن يعيد الكرة ويحمل ما يستطيع حمله من التحف التي تركها اللص الأول.

وقد كانت السرقة الثانية سرقة حقيقية وليست مفتعلة كالسرقة الأولى. وكانت تحمل كل معاني السطو المسلح ..

- والسارق هو "لوبين" بالتاكيد.

- كلا .. إن "لوبين" لا يتصرف بمثل هذا الغباء، و"لوبين" لا يطلق الرصاص جزافا.

- من يكون السارق إذن ؟

- إنه "بريسون" بغير شك .. ولعله فعل ذلك بالاتفاق مع السيدة التي كان يبتز اموالها بطريق التهديد. وهي التي حملت إليه المصباح

الفضي لشراء سكوته.

إنه "بريسون" الذي اقتحم هذه الغرفة.. وهو الذي طعن صديقي المسكين "وطسون" حينما هم بالقبض عليه.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- كل الثقة، فقد كتب إليه أحد شركائه امس قبل انتحاره رسالة تحدث فيها عن مفاوضات تجرى بينه وبين "ارسين لوبين" لرد جميع المسروقات بلا استثناء، أعني المصباح الفضي والتحف والجواهر التي سرقت في المرة الثانية. اضف إلى ذلك أن "لوبين" كان يراقب "بريسون"، وعندما ذهب هذا الأخير أمس إلى ضفة نهر السين تبعه أحد أعوان "لوبين" كما كنا نحن نتبعه.

- وماذا فعل "بريسون" عند ضفة النهر؟

- لابد أنه علم أنني أسير بالتحقيق في طريق النجاح،وأن ....

فقاطعه "البارون":

- وكيف علم ؟ ومن الذي انباه ؟

- نفس السيدة ذات الشان، لقد خشيت بحق أن يؤدي اكتشاف سر المصباح الفضي إلى افتضاح مغامرتها. فحذرت "بريسون" الذي خشي أن يؤدي اكتشاف المسروقات التي ادانته فجمع غنائمه كلها وحزمها والقاها في مكان من النهر، حتى إذا زال الخطر، عاد والتقطها..

وأكبر الظن أن لـ" بريسون" سوابق في الإجرام، لانه ما كاد يعود إلى بيته ويشعر بانني و"جانيمار" نتعقبه ونهم بالقبض عليه، حتى جن جنونه ذعراً وهلعا، فاطلق الرصاص على نفسه .

- ولكن ماذا كان في الحزمة التي القاها في النهر؟

- المصباح الفضي والمسروقات الأخرى.

- إذن فهذه الاشياء ليست معك ؟

- ما إن اختفى "لوبين" في النهر حتى انتهزت فرصة الحمام

الإجباري الذي أخذته لأبحث في المكان الذي أودع فيه "بريسون" الحزمة وقد وجدتها وها أنتذا تراها على المائدة .

واشار إلى حزمة فوق إحدى الموائد. فقطع البارون الخيط الذي يربط الحزمة، وأزال قطع الورق والقماش.

واخرج المصباح الفضي، وأدار قطعة فيه وفصلها عن بقية المصباح، وحينئذ ظهر المخبا، فافرغ "البارون" محتوياته من الزمرد واللاليء فوق المنضدة..

كان الكنز كاملا.. لم تمسه يد.

الفصل السادس

كان الاجتماع على هدوئه ووضوحه، واقتصاره على سرد وقائع ثابتة يدعمها الدليل والمنطق، مشحونا باحتمالات خطيرة مؤلمة، أثارها الاتهام المباشر الصريح الذي وجهه "هولمز" في كل عبارة من عباراته إلى الآنسة "آليس ديمون" .

ومما زاد حرج الموقف ودقته ذلك الصمت المطلق الذي التزمته الفتاة طول الوقت .

وبينما كان "هولمز" يسرد الوقائع، ويسوق الأدلة، لم تتحرك عضلة واحدة في وجه الفتاة، ولم يبد على ملامحها شيء من دلائل الاستنكار أو الخوف .. كانت أشبه بتمثال من الرخام لا يتأثر بالعاصفة التي تدور حوله ..

ففيم كانت تفكر ؟

وماذا ستقول حين يطلب إليها أن تتكلم ؟ وكيف ستحطم الحلقة الفولاذية التي أحاطها بها "هولمز" بمهارة ولباقة؟

وجاءت اللحظة الحاسمة .. ولكن الفتاة لزمت الصمت .

صاح بها "البارون":

- تكلمي .. دافعي عن نفسك .. قولي كلمة واحدة فاصدقك .

ولكنها لم تنطق بهذه الكلمة

أخذ "البارون" يسير في الغرفة جيئة وذهابا. ويلح على الفتاة أن تتكلم .. ولكن دون جدوى.

وأخيرا التفت إلى "هولمز" وقال :

- الحق أنني لا أستطيع أن أصدق .. توجد جرائم مستحيلة، وهذه إحداها، لأنها تتنافى مع كل ما عرفته عن أخلاقها وسلوكها طيلة عام كامل .

ثم ألقى بيده على كتف "هولمز" واستطرد :

- ولكن هل أنت واثق تماما من أنك لم تخطئ يا سيدي ؟

فتردد "هولمز" لحظة، كشخص هوجم فجأة قبل أن يتأهب للدفاع

ولكنه عاد فابتسم وأجاب :

- إن الشخص الذي اتهمه، هو الوحيد الذي كان في استطاعته بحكم مركزه أن يعرف أن المصباح الفضي يحتوي على هذه الجواهر النادرة.

فغمغم "البارون" قائلا:

- لا أستطيع أن أصدق .. لا أستطيع .

- سلها إذن .

وكان استجواب الفتاة هو الشيء الوحيد الذي لم يفكر فيه "البارون" من فرط ثقته بها .. ومع ذلك فقد كان من المستحيل تجاهل كل هذه الأدلة الدامغة .

اقترب "البارون" من الفتاة ثم سألها وهو ينظر في عينيها الواسعتين الصريحتين :

- هل أنت التي فعلت ذلك يا أنسة؟ هل أنت التي أخذت المصباح؟ هل أنت التي اتصلت بـ "ارسين لوبين" ودبرت معه موضوع السرقة ؟

فاجابت:

- نعم يا سيدي .

ولم تطاطئ الرأس، ولم يبد عليها خجل أو ارتباك فصاح "البارون" :

- هل يمكن ذلك ؟ إنني لا أصدق .. لقد كنت آخر من ارتاب فيه .. فكيف حدث ذلك أيتها التعسة ؟

فأجابت :

- لقد فعلت ما ذكره مستر "هولمز" .. وفي ليلة الأحد تسللت إلى هذه الغرفة.. وأخذت المصباح .. وفي الصباح ذهبت به إلى ذلك الرجل .

- ولكن هذا مستحيل، وغير معقول .

- لماذا؟

- لأن باب هذه الغرفة كان موصدا من الداخل. وقد تحققت من ذلك بنفسي في الصباح فاحمر وجهها، واضطربت، ونظرت إلى "هولمز" كانما لتستنجد به .

دهش "هولمز" لارتباك الفتاة، وراح يسال نفسه، لماذا لا تجيب؟ ترى هل الاعتراف الذي أفضت به ينطوي على اكذوبة تهدم جميع الأدلة

التي ساقها ؟

واستطرد "البارون" قائلا :

- هذا الباب كان مغلقا، واقسم إنني وجدته في الصباح كما تركته في المساء فإذا كنت قد دخلت من هذا الباب كما تزعمين، فلا بد أن يكون هناك من فتحه لك من الداخل، لابد أن يكون هناك من نفذ من المخدع إلى هذه الغرفة وفتح لك الباب.. ولم يكن بالمخدع في تلك الليلة سواي أنا وزوجتي.

* * *

وهنا اطرق "هولمز" برأسه، ووضع يديه على وجهه ليخفي احمراره . لقد تبلج له فجاة ضوء قوي بهر عينيه.. وتركه جامداً مذهولا.

لقد تكشفت له الحقيقة بكل روعها فجاة وكشف الضوء الساطع عما يخفيه الظلام.

إن"أليس ديمون" بريئة ..

"اليس ديمون" بريئة تلك حقيقة مؤكدة، يدعمها ذلك الشعور بالقلق الذي كان يحس به في قراره نفسه منذ اول يوم وجه فيه هذا الاتهام الخطير إلى الفتاة...

إنه يرى الآن بوضوح .. وحركة واحدة يسيرة سوف تقدم له الدليل الذي لا يدحض..

ورفع رأسه بهدوء، وبطريقة طبيعية، ونظر إلى البارونة..كان وجهها ممتقعا، ويعلوه ذلك الشحوب الذي يكسو وجه الإنسان في أحرج ساعات حياته ..

كانت تحاول أن تخفي يديها المرتجفتين ..

قال "هولمز" لنفسه :

لحظة اخرى وينهار تماما..

ووقف بين "البارونة" وزوجها، في محاولة يائسة لتجنيب هذين الزوجين الخطر الماحق الذي يهدد سعادتهما بسببه.

ولكنه ما كاد ينظر الى "البارون" حتى مرت بجسده رعدة شديدة .. فقد تكشفت للـ "بارون" فجاة، نفس الحقيقة التي تكشفت له، ورأى نفس الضوء الذي بهره.

لقد فهم الزوج كل شيء ..

أرادت "آليس ديمون" - في محاولة يائسة - أن تقف في وجه الحقيقة الهائلة التي تبلجت للجميع.

قالت تحدث "البارون":

- الحق معك يا سيدي .. أنني أخطأت .. والواقع أنني لم أدخل من الباب، وإنما دخلت من الحديقة عن طريق الشرفة .. بواسطة سلم ..

كانت محاولة يائسة أملاها الإخلاص والوفاء . ولكنها محاولة فاشلة ..

وكانت نبرات صوتها تنبئ بكذبها ، فاطرقت برأسها، ولزمت الصمت.

وساد سكون مخيف، ووقفت "البارونة" في انتظار مصيرها المحتوم، كما يقف المحكوم عليه بين يدي الجلاد.

وظهر على وجه "البارون" آثار الزوبعة التي تعصف في جمجمته..

لم يشأ أن يصدق أن سعادته العائلية قد انهارت على هذا النحو، وبمثل هذه السرعة..

وأخيرا صاح بزوجته:

- تكلمي .. أوضحي ..

فاجابت بصوت خافت، والألم يكسو وجهها :

- ليس عندى ما أقوله يا صديقي المسكين..

- إذن فالآنسة ..

- الآنسة حاولت أن تنقذني .. بدافع العطف والوفاء، انها اتهمت نفسها ..

- لتنقذك مم ؟ وممن ؟

- من ذلك الرجل .

- "بريسون" ؟

- نعم .. كان يهددني .. لقد قابلته في بيت إحدى صديقاتي ، وكنت من الحماقة بحيث صدقت كلامه المعسول . وأوكد لك أنه لم يكن بيني وبينه ما أخجل من ذكره .. لقد كتبت إليه رسالتين .. رسالتين سأطلعك عليهما .. فقد اشتريتهما منه .. وأنت تعرف كيف اشتريتهما .. أواه

.. رحمة بي .. فقد تألمت كثيرا .

- أنت .. أنت يا "سوزان" !!

ورفع قبضة يده ، وهم بأن يهوي بها على رأسها .. هم بأن يقتلها.. ولكنه عاد فأمسك ، وسقط ساعده بجواره وغمغم مرة أخرى .

- أنت .. أنت يا "سوزان" !! هل يمكن هذا ؟

وفي عبارات مبتورة ، وصوت حزين ، راحت البارونة تسرد قصتها مع ذلك الرجل السافل ، وتصف عذابها وآلامها ووخز ضميرها ، وتحدثت عن "أليس ديمون" وإخلاصها . وكيف أن الفتاة أحست بيأسها فاستدرجتها في الحديث حتى عرفت منها الحقيقة ثم كيف تطوعت "أليس ديمون" بالكتابة إلى "أرسين لوبين" ، وكيف انتهى الرأى إلى شراء سكوت "بريسون" بالمصباح الفضي ، على أن يسترد "لوبين" المصباح فيما بعد ، ويعيده إلى مكانه .

فردد البارون ، وقد أثقلت الكارثة كاهله :

- أنت يا "سوزان" .. أنت !! كيف وجدت الجرأة ..

* * *

الفصل السابع

في مساء اليوم ، كانت الباخرة (لندن سيتي) تشق طريقها من (كاليه) إلى (دوفر) في بحر هادئ مظلم وكان أكثر المسافرين قد أووا إلى مخادعهم أو إلى صالون الباخرة .. بينما راح القليلون يذرعون سطح الباخرة ، أو يعالجون النوم في مقاعدهم تحت قبة السماء ، ولم يكن يرى وسط الظلام سوى وهج لفافات التبغ هنا وهناك ..

وسار أحد المسافرين على ظهر السفينة بخطى منتظمة وتوقف أمام فتاة تمددت على أحد المقاعد ، وانتظر قليلا حتى رآها تتحرك فقال لها:

- ظننتك نائمة يا أنسة "أليس"

- كلا يا مستر "هولمز" .. فليست بي رغبة إلى النوم .. لقد كنت افكر..

- هل أكون متطفلا إذا سألتك فيم تفكرين ؟

- كنت افكر في البارونة "سوزان" .. لابد أنها الآن حزينة فقد انتهت حياتها .

فاجابها "هولمز" بحدة :

- لا أظن ذلك .. أن خطيئتها ليست مما لا يمكن اغتفاره .. وسوف يغفر لها البارون هفوتها .. لقد لاحظت فعلا عند رحيلنا أن نظراته إليها كانت أقل صرامة .

- ربما .. ولكن النسيان يتطلب وقتا طويلا .. وسوف تتألم البارونة وتشقى .

- هل تحبينها كثيرا ؟

- أكثر مما تتصور .. ومن هذا الحب كنت أستمد القوة للابتسام وأنا أرتجف هلعا وللنظر في وجهك حين كان ينبغي أن أشيح بوجهي

- وهل أنت حزينة لفراقها؟

- حزينة إلى أقصى حد .. ليس لي أب أو أم أوصديق .. لم يكن لي سواها.

- سوف تجدين في لندن كثيرا من الأصدقاء .. إن لي معارف كثيرين في أرقى الأوساط، وسوف ترضين عن العمل الذي سألحقك به.

- ربما .. ولكن "البارونة" لن تكون حيث أعمل ..

* * *

ساد بينهما صمت عميق، وبددت الريح السحب المظلمة التي كانت تحجب وجه القمر، فأخرج "هولمز" غليونه، وحاول أن يشعله، ولكن الريح أطفأت أعواد الثقاب الأربعة التي كانت معه، فتحول إلى مسافر يجلس على مقعد قريب وسأله:

- هل أجد معك عود ثقاب؟

فأخرج المسافر من جيبه (ولاعة) أشعلها وعلى ضوئها رأى "هولمز" وجه "أرسين لوبين"..

ولولا أن الإنجليزي أجفل قليلا لظن "لوبين" أنه كان يعلم بوجوده على ظهر السفينة ..

كانت تلك الإجفالة غير الملحوظة، هي كل ما بدر من "هولمز"، وفيما عدا ذلك فقد ظل البوليس السري الانجليزي محتفظا بهدوئه وبروده..

قال وهو يمد يده إلى غريمه :

- أما زلت في صحة جيدة يا مسيو "لوبين" ؟

فهتف "لوبين" وقد أعجبه هدوء الإنجليزي وسيطرته على أعصابه:

- برافو

- برافو ؟ ولماذا ؟

- أتسألني لماذا وأنت تراني أظهر أمامك كالشبح بعد ..

أن شهدت غرقي في نهر السين .. فلا يبدو عليك من دلائل الدهشة أو

العجب ..

حقا إن البرود الإنجليزي خليق بالإعجاب

- ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة .. فإن طريقة سقوطك من القارب دلتني على أنك أسقطت نفسك وعلى أن الرصاصة لم تصبك .

- وهل طاوعك قلبك على الرحيل قبل أن تعرف مصيري؟

- أما مصيرك فقد كنت أعرفه .. وكان هناك نحو خمسمائة شخص على ضفتي النهر في مدى كيلو متر واحد، فاذا نجوت من الموت فلابد أن تعتقل

. ومع ذلك هانذا ..

- اصغ إلى مِسيو "لوبين"، يوجد في هذه الدنيا شخصان لا يدهشهما شيء .. أنا أولا .. ثم أنت .

وهكذا ساد الوئام بين الرجلين.

وإذا كان "هولمز" قد عجز عن اعتقال"لوبين"، فإنه على الأقل قد استطاع استرداد المصباح الفضي .. على أن انتصاره فقد الكثير من روعته - في نظر الجمهور - بسبب اضطراره إلى إخفاء الظروف التي مكنته من استرداد المصباح، واضطراره بالتالي إلى كتمان اسم الجاني ..

ذلك من وجهة النظر العامة

أما فيما بين "هولمز" و"لوبين"، بين رجل البوليس واللص، فلم يكن هناك غالب أو مغلوب ..

كان لكل منهما نصيبه من النصر.

وقص "لوبين" على "هولمز" قصة فراره فقال :

- كان الأمر غاية في السهولة .. بعد أن قضيت نحو نصف ساعة تحت القارب المقلوب، انتهزت فرصة انطلاق "فولنفان" ورجاله للبحث عن جثتي على طول الشاطئ وصعدت إلى ظهر القارب ..

وكنت على موعد مع رجالى للبحث عن المصباح الفضي في النهر، فمروا بزورقهم البخاري والتقطوني .. وانطلقوا بي امام خمسمائة شخص، وتحت انظار "جانيمار" و"فولنفان" .

فصاح "هولمز":

- هذا بديع حقا .. والآن .. هل لك عمل في إنجلترا؟

- نعم .. لي حساب أريد تصفيته .. ولكن ماذا فعل "البارون"؟

- لقد علم بكل شيء ..

- الم اقل لك ذلك منذ البداية يا أستاذي العزيز ؟ إن الضرر الذي حدث لا يمكن إصلاحه.. اما كان يجدر بك أن تدعني أعالج الموقف بالطريقة التي أراها ؟ لو أنك تاخرت يوما أو يومين لاستردت المصباح الفضي والمسروقات الأخرى واعدتها إلى البارون ، ولعاش الزوجان في سعادة بقية حياتهما .. اما الآن ..

فضحك "هولمز" وقال :

- اما الآن فإنني بذرت بذور الخلاف والشقاء في أسرة تظلها بحمايتك ..

- يا إلهي !! ولم لا اظلها بحمايتي ؟ هل يجب أن يقتصر نشاطي على السرقة والأذى ؟

- هل أفهم من ذلك انك تفعل الخير في بعض الأحيان ؟

- إنني افعل الخير كلما وجدت إلى فعله سبيلا، ولعل من أعجب الأمور في هذا الحادث الذي نحن بصدده، إنني قمت فيه بدور ملاك الخير الذي يصنع المعروف ويحمل النجدة والغوث .. بينما قمت انت بدور ملاك الشر الذي يجلب الياس والشقاء والدموع.

- الدموع ؟

- نعم .. لقد قوضت سعادة أسرة "دامبلغال" وأبكيت "أليس ديمون".

- كان من المستحيل على الآنسة "آليس ديمون" أن تبقى، ولو أنها

بقيت لاكتشف "جانيمار" الحقيقة ولافتضحت "البارونة" .

- كل هذا صحيح .. ولكن من المخطئ ؟

مر بهما في هذه اللحظة رجلان، فقال "هولمز" في جفاء :

- هل تعرف هذين الرجلين .

- إن أحدهما فيما أعتقد هو قبطان الباخرة.

- والآخر ؟

- لا أعرفه .

- إنه مستر "أوستن جيليت"، الذي يشغل في إنجلترا مثل منصب مسيو "ديدوي" مدير الأمن العام في فرنسا .

- يالها من مصادفة سعيدة !! هل لك في أن تقدمني إلى مستر "جيليت" ؟ إن مسيو "ديدوي" من أعز أصدقائي ..

وسوف يسعدني أن أقول مثل ذلك عن مستر "جيليت"

فنهض "هولمز" وهو يقول :

- وإذا أخذتك بكلمتك يا مسيو "لوبين"؟

وقبض على ساعد "لوبين" بيد من حديد فصاح "لوبين":

- ولماذا تمسك بي بهذه الشدة؟ إنني على استعداد لأن أتبعك وسار معه دون أن يبدي أية مقاومة ، ولكن "هولمز" لم يفلت ساعده.

كان الرجلان قد ابتعدا، فاوسع "هولمز" الخطى وصاح بـ "لوبين" :

- اسرع .. اسرع

ولكنه لم يلبث أن توقف فجاة، فقد راى "أليس ديمون" تسير معهما.. قال لها :

- ماذا تفعلين يا آنسة ؟ عودي إلى مكانك وسوف ألحق بك .

فأجابه "لوبين" :

- يجب أن تلاحظ يا أستاذي العزيز أنها لا ترافقنا طواعية واختيارا .. إنني ممسك بها بنفس الشدة التي تمسكني بها ..

- ولماذا ؟

- لماذا ؟ لأنني اصر تقديمها إلى مستر "جيليت مثلي .. إن دورها في حادث المصباح الفضي أهم من دوري فقد كانت شريكة "لوبين" وشريكة "بريسون" وسوف يتعين عليها كذلك أن تسرد قصة البارونة .. وهي قصة تهم العدالة.

وبذلك يكون تدخلك قد أعطى كل ثمراته الطيبة أيها الرجل الكريم ..

فترك "هولمز" ساعد "لوبين"، وترك "لوبين" ساعد الفتاة .. ووقف ثلاثتهم لحظة لا يبدون حراكا .. ثم عاد "هولمز" إلى مقعده، وتبعه "لوبين" والفتاة .

وساد بينهم صمت عميق، قطعه "لوبين" اخيراً بقوله :

- ارأيت يا أستاذي العزيز اننا مهما صنعنا فلن نقف في صعيد واحد .. أن بيننا هوة عميقة .. في استطاعتنا أن نتصافح وأن نتحدث لحظة .. ولكن الهوة تفصل بيننا دائما .. وستظل أنت "شرلوك هولمز" البوليس السري، وانا "ارسين لوبين" اللص .

سيظل "شرلوك هولمز" يعمل بغريزة البوليس السري.

فينقض على اللص حالما يراه، وسيظل "ارسين لوبين" امينا مع نفسه كلص، تدفعه الغريزة إلى تجنب البوليس السري وإلى الاستهزاء به ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. وما حدث بيننا الآن يدخل في باب (ما استطاع إلى ذلك سبيلا) .

وانفجر ضاحكا ضحكة قاسية .. ثم امسك فجاة وانحنى نحو الفتاة وقال يحدثها :

- ثقي يا آنسة بانني ما كنت لأشي بك مهما كانت الظروف ومهما نزل بي من محن، إن "ارسين لوبين" لا يخون أحداً وخاصة أولئك الذين يحبهم ويعجب بهم .. واسمحي لي بان اقول لك :

- إنني أحب شخصك العزيز وأعجب بشجاعتك ووفائك .

قال ذلك وأخرج من جيبه بطاقة مزقها نصفين، قدم أحدهما إلى الفتاة واستطرد قائلا بصوت ينم عن الاحترام :

- إذا فشل مستر "هولمز" في محاولاته وعجز عن أن يجد لك عملا، فاذهبي إلى الليدي سترونجبورو (ومن السهل عليك معرفة عنوانها) وقدمي لها نصف البطاقة وقولي لها هاتين الكلمتين (هدية إخلاص) فتصبح لك أكرم من أخت وأعز من أم.

فقالت الفتاة :

- شكرا لك، سأذهب غدا إلى هذه السيدة .

وهنا صاح "لوبين" بارتياح من أدى واجبا :

- والآن يا أستاذي العزيز .. أرجو لك ليلة سعيدة ونوما هنيئا .. لا تزال أمامنا ساعة قبل الوصول إلى الشاطئ الإنجليزي .. وسأحاول الإفادة من هذه الساعة.

قال ذلك ومدد ساقيه، وعقد يديه خلف رأسه واستغرق في النوم.

القسم الثاني
الرجل ذو المائة وجه

خفق قلب "ماكس بلانشار" بقوة حين راى العلامة التي ميز بها المكان الذي يقصد إليه..

لقد وعى هذا المكان في ذاكرته، وميزه بالجرن الفسيح المحاط بسور أحمر وها هو ذا الجرن يتراءى له في ضوء القمراشبه بلوحة فنية رائعة من صنع فنان عظيم .. وها هي ذي المضخة المحطمة التي تنتهي عندها رحلته الشاقة المحفوفة بالمخاطروالاهوال .

الآن في استطاعته أن يتوقف عن الزحف .. بعد أن زحف طويلا على يديه وركبتيه، وحاول جهد طاقته وبنجاح عظيم أن يتجنب العيون التي بثت في كل مكان في الأراضي الفرنسية لاقتناصه والإيقاع به.

لم يكن (ماكس بلانشار) اسمه الحقيقي بالتاكيد، ولا تزال إدارة المخابرات الأمريكية ترى من الضروري كتمان اسمه وطبيعة المهمة التي كان موفداً فيها .. كان زملاؤه في الجيش يسمونه (الفرنسي) . لأن أباه كان فرنسيا، وأمه أمريكية، وقد اختير لهذه المهمة الخطيرة ... لأنه يتكلم الفرنسية كاهلها .

وقد يكون من الحكمة كذلك عدم الإفضاء بالطريقة التي استطاع بها "بلانشار" دخول أرض فرنسا، أو إيضاح الظروف التي أصيبت فيها كتفه اليمنى بهذا الجرح العميق الذي ينزف منه الدم بغزارة .

إما الجانب المسموح بنشره من هذه القصة، فإن حوادثه تبدأ في فجر أحد الأيام في قرية (روزي سيرمان) .. في الوقت الذي كان الألمان يسيطرون فيه على فرنسا كلها.

وقد راح "بلانشار" يواصل الزحف وهو يتساءل إلى متى سيظل محتفظا بقوته وحواسه رغم الدماء الغزيرة التي نزفت من جرحه ؟!

رأى (الجرن) وتنهد .. واحس بانه أصبح قاب قوسين من أحد مراكز

المقاومة السرية في فرنسا، وفي هذا المركز يستطيع أن يجد الشراب والطعام والراحة.. وفيه يستطيع أن يسترد من القوة ما يساعده على الوصول إلى المكان الذي تنتهي عنده هذه الرحلة الخطيرة..

وأجال الطرف حوله حتى اطمأن إلى خلو المكان، ومن ثم انتصب واقفا..

وسار مترنحا إلى باب مركز المقاومة السرية، وطرقه بطريقة خاصة.. ففتحه رجل حاد تقاطيع الوجه، أسود العينين، وبادره "بلانشار" بقوله:

- مسيو "ديفال"؟!

فاجاب الرجل : نعم

- الصياد المشهور؟

فابتسم الرجل، وأطرق برأسه علامة الإيجاب.

كانت تلك هي كلمة السر المتفق عليها بين رجال المقاومة السرية.

وقاد "ديفال" ضيفه إلى غرفة فسيحة.. لم ير فيها "بلانشار" سوى رجلين يرتديان ثياب الجستابو (البوليس السياسي الألماني).

سمع "بلانشار" صوت "ديفال" وهو يقول محدثا الرجلين :

- أيها السادة .. ها هو ذا الجاسوس الأمريكي.

وهنا خارت قوى "بلانشار"، وسقط على الارض فاقد الرشد .

* * *

قال الكولونيل "سيجموند فون كيلر" وهو ينقر على مكتبه بحركة عصبية :

- لست أدري لماذا لم أخطر بطريق مباشر بالرحلة التفتيشية التي يقوم بها الماجور "ليناوس" :

فاجابه الشيخ الفرنسي النحيل وهو يعبث بلحيته القصيرة

- لا شك أن الماجور يعلم الشيء الكثير عن نشاط رجال المقاومة

السرية فكتم خبر رحلته ليتجنب الوقوع في فخ ينصبونه له .. ثم ليتمكن من مفاجاتك والتفتيش على عملك.

ولكن من حسن الحظ انني علمت بنبا الزيارة بوسائلي الخاصة .. فاردت أن أحذرك . تتاهب لمقابلته .

فابتسم الضابط الألماني وقال :

- إنك رجل ثمين يا مسيو "لينورمان" . وأصارحك القول إنك من طراز أرقى كثيرا من سائر الرعاع الفرنسيين الذين يبدون رغبتهم في التعاون معنا ضد مواطنيهم المهزومين .

ولاشك أن خبرتك كمدير سابق للأمن في فرنسا .. وقدرتك على فضح الخونة ممن كنا نعتقد في ولائهم وإخلاصهم لنا ..

- إن الجاسوس الأمريكي بين يديك الآن .. وهو خير برهان على نشاطك ويقظتك تقدمه للماجور" ليناوس" حين يفاجئك بزيارته فغرك "فون كيلر" يديه لهذا الخاطر..

انصرف مسيو "لينورمان" الذي كان يتولى رئاسة البوليس المحلي. ودخل أحد الجنود الألمان معلنا قدوم مسيو "ديفال" ..

حاول "فون كيلر" أن يكون صارما وظريفا في وقت معا .. وهو يهنئ "ديفال" على شجاعته في الوشاية بالجاسوس الأمريكي . وكان اقرب إلى الصرامة منه إلى الظرف حين مضى في حديثه مؤكداً لـ"ديفال" أن حياته في المستقبل سوف تتوقف على فائدته لجيش الاحتلال واتخاذه مركز المقاومة كفخ للإيقاع باعداء ألمانيا.

وهنا قال "ديفال" في شيء من التردد:

- ولكنك لا تعرف رجال المقاومة السرية يا سيدي الكولونيل، إنهم على جانب عظيم من القوة والجراة ... ومتى علموا أن كل من يصل إلى بيتي .. يقع فورا بين ...

فقاطعه الكولونيل بخشونة:

- اتظنهم يستطيعون أن يكونوا أشد قسوة منا ؟!

فانهارت أعصاب "ديفال" . وأجاب :

- حسنا يا سيدي الكولونيل .. ساواصل العمل كما اتفقنا

- وعليك الإرشاد إلى كل خائن تعرفه .. ولكن صبرا لحظة. أنا واثق أن الجاسوس الأمريكي يهمه كثيرا أن يعرف حقيقة شعور الرجل الذي كان يركن إليه.

ودق جرسا أمامه فاقبل أحد الحراس فامره بإحضار الأمريكي.

ولم يكن القوم قد أساءوا إلى "ماكس بلانشار بعد نقله إلى مركز الجستابو.

لم تكن ثمة حاجة إلى تعذيب رجل جريح محموم.. إن أفضل وسيلة لتعذيبه .. هي إهماله.

قال الضابط الألماني يقدم إليه نفسه :

- أنا الكولونيل "فون كيلر" .. وهذا مسيو "ديفال" الصحفي .. والخائن سابقا . وكف عن الكلام لحظة ثم استطرد :

- والآن .. ما اسمك أيها الأمريكي ؟

ونطق بكلمتي « أيها الامريكي» بلهجة من يريد أن يقول «أيها الكلب» فصمت بلانشار" ولم يجب .. وقال "كيلر" وهو يبتسم :

- على رسلك . سوف نستجوبك في وقت آخر .. بعد أن تنال قسطا من الراحة.

أما الآن فاحب أن تعرف مدى ما نعلم عن خطتك وتدابيرك لكي تدرك حق الإدراك أنكم تحاولون مقاومة المانيا الظافرة تكلم يا"ديفال" من هو زعيم المقاومة السرية في هذه المدينة ؟

فغمغم "ديفال" : - إنه مسيو "لينورمان" ..

"فوثب كيلر" من مقعده وصاح :

- "لينورمان" ؟ ! .. مستحيل .. إنك تكذب أيها الكلب الفرنسي .. إن

مدير البوليس صديقناوحليفنا ... إنه ...

ولم يتم عبارته .. فقد دوى في هذه اللحظة صوت يقول :

- أيها الجندي. اذهب إلى مركز البوليس في الحال.

والقي القبض على مسيو "لينورمان" .. وجئني به فوراً .

حول "بلانشار" بصره نحو مصدر الصوت. فرأى بالباب رجلا طويلا نحيفا .. يرتدي السترة السوداء المزركشة التي تميز كبار رجال الجستابو.

وبدأ "فون كيلر" يقول :

- أنا الذي أصدر الأوامر في ..

ولكن الضابط الكبير شرع يخلع قفازه بسرعة .. وهو يقول :

- أنا الماجور "ليناوس" . ولا شك أنك لم تكن تتوقع قدومي.

- معذرة يا سيدي الماجور .. أنا ...

- لاضرورة لأن تقدم إليّ نفسك .. أنا أعرفك حق المعرفة.

الكولونيل "فون كيلر" .. الرجل المتوسط الذكاء والكفاءة ..

الذي يخلص لعمله ٩٥ في المائة. ويخلص لوطنه مائه في المائة.

ويخلص لحزب النازي ١٠٠ في المائة .. اما تفكيره فهو صفر في المائة.

قطب "كيلر" حاجبيه . وشد قامته .. وعض على شفته ليمنع نفسه من الكلام .

استطرد الماجور "ليناوس" :

- هل فهمت جيدا ما قاله هذا الفرنسي ؟ ؟ هل انباك بانك كنت تضع ثقتك في أحد الخونه؟

- ذلك ما قاله يا سيدي الماجور

- ذلك ما قاله !!! ألست على شيء من الإدراك لخطورة منصبك؟؟ هل الرجل الذي و ضعت فيه ثقتك هو مدير البوليس المحلي ويد عى

"لينورمان"؟

- نعم يا سيدي.

- أهو متقدم في السن !؟ أعني أكبر مني سنا؟ ونحيف ومقوس الظهر؟؟ وكان في وقت ما مدير الأمن العام في باريس؟

وكان "كيلر" يحني راسه علامة الإيجاب ردا على كل من هذه الأسئلة فانفجر "ليناوس" ضاحكا ضحكة عالية خشنة. وقال:

- بعد خمس دقائق . سيعود الجندي الذي أرسلته للقبض عليه وسيقول لنا إنه ليس في مكتبه .. وليس في منزله .. وستبحث عنه عبثا في كل مكان .. وسيستمر بحثك اشهرا طويلة، بينما هو يضحك من غباوتك ويسخر من سذاجتك.

فكظم "كيلر" غيظه وأجاب :

- ربما لم أكن قوي الإدراك كما تقول أيها الماجور ..

ولكني كفء في عملي .. وفي استطاعتي إلقاء القبض على أي إنسان حي .. ومن يكون "لينورمان" هذا؟؟شبح ؟؟.

فابتسم الماجور وغمغم .

- شبح!؟ كلا . إنه ليس شبحا بمعني الكلمة.

- إذن لماذا لا أستطيع اعتقاله؟

فاجاب "الماجور" ببطء .

- لأن أحدا لم يستطع حتى هذه اللحظة ان يعتقل "أرسين لوبين" .

فاجابه "ليناوس".

- لو رجعت إلى سجلات البوليس في باريس .. لوجدت أن مسيو "لينورمان" كان يشغل منصب مدير الأمن العام في سنة ١٩٠٦ على ما اذكر ... ثم ظهر فيما بعد انه العبقري الداهية "أرسين لوبين" .

- ولكن يا سيدي الماجور .. إن "أرسين لوبين" شخصية خيالية ولو افترضنا انه شخصية حقيقية لوجب ان يكون قد مات ولا وجود لها

إلاّ في الكتب .

والآن .. الم تقل : إنه كان مديراً للأمن العام في سنة ١٩٠٦ ؟؟

فتنهد الماجور "ليناوس" وأجاب :

- دعني أوضع لك الموقف ريثما يعود الجندي ليؤكد ما ذهبت إليه ظنوني .. إن الفرنسيين شعب عجيب لم أستطع فهمه .. لقد عملت في النرويج مع (جوناس لي) وكنت أعرف من انا .. وأين أعمل ..

إنني من سلالة "فون ليناوس" القائد الألماني الكبير وكانت والدتي نرويجية .. وقد أسمتني (بيرن) تخليدا لاسم أحد الأبطال المشهورين في إحدى قصص الكاتب النرويجي المعروف (ابسن)..

نعم .. إنني اقمت في النرويج وعملت مع (جوناس لي) ..

وكنت افهم النروجيين . سيما أولئك الذين كانوا يقاوموننا ويناصبوننا العداء أما الفرنسيون .. فإنني لا أفهمهم كما قلت لك .. فإن فيهم شيئا لا تستطيع أن تنزعه من نفوسهم .

ولك أن تسمي هذا الشيء .. حماسة أو وطنية او شجاعة أو دهاء أو جراة.

هذا الشئ هو إحدى هذه الصفات .. أو هو كل هذه الصفات مجتمعة.

وهذه الصفات في مجملها تتمثل في الشخصية العجيبة التي نعرفها باسم "ارسين لوبين" ويعرفها الناس باسم "لينورمان" و"بارنيت" و"لويس برينا" و "لبرنس سرنين" والدكتور "بونار" وعشرات الأسماء الأخرى . وصمت "ليناوس" لحظة ثم عاد فاستطرد :

- إنه يمثل الجراة وسعة الحيلة والجسارة التي تقرب من القحة.

* * *

ساد الصمت في الغرفة .. ورأى "بلانشبار" أسارير الكولونيل "فون كيلر" تنبسط إعجابا بتلك الشخصية التي يتعين عليه أن يطاردها

ويبيدها ...

وعاد الجندي الذي أوفده "ليناوس" لاعتقال "لينورمان" .

فادى التحية وقال

- يا سيدي الماجور ... لم أجد مسيو "لينورمان" في أي مكان

فظهرت الحيرة على وجه "كيلر" وغمغم :

- ولكنه كان يعمل معنا..

فقاطعه "ليناوس":

- إن جراة الرجل وسعة حيلته لاحد لهما .. إلم يجعل من نفسه مديرا لإدارة الأمن العام التي كان كل همها ان تقبض عليه؟؟ إنه لم يعمل معنا إلا إمعانا في الهزء بنا والسخرية منا. حدثني ماذا صنع من أجلنا ؟؟

وهز رأسه مفكراً لحظة .. ثم عاد يقول :

- حسنا .. دع لي ذلك الشيطان أما الآن فلننظر في أمر هذا الأمريكي.. وهذا الصديق الفرنسي الذي أسلمه إليك ..

وكان في صوت "ليناوس" قسوة جعلت "بلانشار" يرتجف من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ..

قال "فون كيلر" .

- هل أدعو "جروسمان" ؟؟ إن له طريقته الخاصة في استجواب الجواسيس وحملهم على الكلام .

فأجاب الماجور ببرود:

- ومن قال لك: إنني ليست لي طريقة خاصة كذلك ؟؟أرجو أن تخلي الغرفة وتترك لي هذين الرجلين .

فقال "كيلر" بحدة :

- هل لي أن اذكر سيدي بانه يتجاوز بذلك حدود وظيفته وأن استجواب هذين الرجلين هو من شاني وحدي ؟؟

فاجاب "ليناوس" وهو يضرب كفه بقفازه :

- وهل لي أن أذكر الكولونيل بأن هذين الرجلين يجب أن يبوحا بمعلومات وأسرار على جانب عظيم من الأهمية .. وأنهما قد يمسكان عن الكلام في حضرة ضابط ألماني ثبت أنه كان يتعاون مع "أرسين لوبين" ؟؟

وسار إلى الباب وقال بلهجة الأمر :

- هذان الرجلان سيذهبان معي .

* * *

لاحظ "ماكس بلانشار" أن وجه "ديفال" قد امتقع امتقاعا شديدا وأحس نحوه بما يشبه الإشفاق ..

وكان "فون كيلر" رجلا صارما وقاسيا .. ولكن "ليناوس" كان يبدو أشد صرامة وقساوة ..

لم يكن هناك سوى حل واحد ..

اشفق "بلانشار" على الأسرار الخطيرة التي يعرفها أن تفلت من بين شفتيه تحت تاثير التعذيب الذي لا يطيقه بشر .. أو مع هذيان الحمى التي تحرق جسده .. فراح ينبش بأصابعه بين طيات ثيابه الملوثة بالدماء .. باحثا عن الانبوبة الدقيقة التي تحتوي على كمية من سم (سيانيد البوتاس) تكفي لقتل خمسة رجال ..

وابتهل إلى الله أن يكون الحراس قد ضلوا عن مكانها عندما فتشوه.. وتمنى لو أن في استطاعته اقتسام السم بطريقة ما مع ذلك الخائن "ديفال" .. قبل أن يبوح للماجور باسرار أبطال المقاومة السرية.

بلغت أصابعه المكان الخفي .. الذي كان يخفي به أنبوبة السم فلم يجد الأنبوبة وإنما وجد مكانها ورقة صغيرة مطوية . فانتهز فرصة المناقشة التي احتدمت بين الضابطين الألمانيين . وبسط الورقة بين

أصابعه وقرأ فيها هذه الكلمات : تشجع

"أرسين لوبين".

وأصابه دوار شديد .. فلم يدر كيف حمل إلى السيارة السوداء الكبيرة التي كانت تنتظر الماجور "ليناوس" في الخارج

* * *

وشيع "فون كيلر" سيارة الماجور "ليناوس" بنظرة مفعمة بالغيظ والكراهية .. لابد أن ينتقم للإهانة التي لحقته مهما كلفه ذلك.

عاد إلى مكتبه .. واتصل تليفونياً برئيسه المباشر الكولونيل جريمهاوزن" وأبلغه أنه أماط اللثام عن حقيقة مسيو "لينورمان" مدير البوليس المحلي واكتشف أنه المجرم المشهور "أرسين لوبين" فيجب إصدار الأمر فورا بالبحث عنه وإلقاء القبض عليه ..

وإنه استطاع فضلا عن ذلك أن يغري أحد رجال المقاومة السرية بالتعاون معهم كما استطاع اعتقال جاسوس أمريكي خطير.

وسر "الكولونيل جريمهاوزن" لهذه الأنباء وأطرى براعة "كيلر" وسأله:

- والجاسوس ؟؟ .. ورجل المقاومة السرية؟ هل أعترفا بشيء ذي أهمية ؟؟

- لقد اقحم الماجور "ليناوس" نفسه في الموضوع بطريقة تخالف التعليمات .. وأخذ على عاتقه مهمة استجوابهما ..

فإذا أمرتم ..

فقاطعه الكولونيل :

- الماجور ماذا ؟؟

- الماجور "ليناوس".

- لا أعرف ضابطا بهذا الاسم .. من أين أتى؟؟

- لقد .. صبرا لحظة يا سيدي "الكولونيل".

ولم يترك "كيلر" سماعة التليفون .. وإنما نظر إلى الجندي الذي دخل في تلك اللحظة وأدى التحية العسكرية وقدم إليه رسالة وهو يقول :

– طلب إليّ الماجور" ليناوس" أن أقدم إليك هذه الرسالة وفض "كيلر" الرسالة . وقرأ فيها .

«كان أرسين لوبين" مغرما بانتحال أسماء تتألف حروفها من اسمه الحقيقي .. ومن بين الأسماء التي انتحلها . "بوك سرنين " .. "لويس بوينا " وخادمكم المطيع .

"بيرن ليناوس"

الفخ الرهيب

ما كاد السباق ينتهي حتى تدفقت الجماهير المحتشدة في الحلبة نحو باب الخروج وهي تدفع في طريقها "نيكولاس دورجيفال"، فمد الرجل يده في خفة يتحسس جيبه :

- ماذا حدث ؟.

- إن وجود هذه النقود في جيبي يسبب لي اضطرابا شديدا . فشد ما أخشى ان تقع لي كارثة بسببها .

- إنني لا افهم ماذا دهاك حتى تحمل مثل هذا المبلغ معك وهو كل ما نملكه، ويعلم الله كم لقينا في سبيل اكتسابه من عناء ومصاعب !

- لا عليك ! فإن احدا لا يمكنه أن يحدس أنه هنا في جيبي ، ولكن ذلك الخادم الشاب الذي طردناه في الأسبوع الماضي يعلم كل شيء عنه، أليس كذلك يا "جبرييل" ؟

فقال الفتى الواقف بجوارها : أجل يا عمتي!

وكان "نيكولاس" دور جيفال" وزوجته وابن أخيه من الوجوه المعروفة جيدا في حلبة السباق حيث كانوا يرون فيها كل يوم تقريبا. أما الرجل فطويل القامة ضخم الجسم متورد الوجه يبدو عليه أنه يعرف كيف يستمتع بحياته إلى اقصى حد، وأما المراة فمكتزة الجسم إلى حد الترهل، ذات وجه غليظ مختلط الملامح، ترتدي ثوبا من الحرير الأحمر الباهت لعله أسوأ ما ارتدته امرأة، وأما ابن الأخ ففتى حديث السن نحيل الجسم ذو وجه ممتقع وعينين سوداوين، وشعر مجعد أقرب إلى الشقرة .

وقد جرت عادتهم أن يظل الزوجان جالسين في أثناء السباق بينما يمضي "جبرييل" ليراهن باسم عمه ويراقب الجياد، ويندس بين السواس والفرسان (الجوكية) ليلتقط الأخبار. ويظل يروح ويغدو بين

مقاعد المتفرجين ومكاتب المراهنة.

وكان الحظ يحالفهم في ذلك اليوم إذ رأى الجالسون حول "دور جيفال" أن الفتى عاد ثلاث مرات ليحضر له مبالغ مختلفة من النقود.

فلما انتهى الشوط الخامس أشعل "دور جيفال" سيجارا، وفي نفس اللحظة دنا منه سيد يرتدي ثوبا أسود، وينتهي وجهه بلحية مدببة وخطها الشيب، فسأله في صوت خافت:

- هل هذه الأشياء تخصك يا سيدي؟

فاجفل "دور جيفال" وهو يرى ساعته الذهبية وسلسلتها، وصاح:

- ويلاه! إنها لي، انظر، ها هما الحرفان الأولان من اسمي ن . د. أي "نيكولاس دور جيفال" .

ومده يده في الحال إلى جيبه الداخلي وهو ينتفض ذعرا .

ولكنه وجد نقوده في مكانها، فتنهد في ارتياح وهو يقول:

- آه من حسن الحظ أن الأمر لم يتعد هذه الأشياء. ولكن كيف نشلت الساعة مني بحق السماء؟ هل عرفت اللص؟

- لقد قبضنا عليه وأودعناه حجرة موصدة، فارجو أن تحضر معي حتى نتولى التحقيق .

- ولكن، إلى من أتشرف بالحديث ؟.

- إنني "ديلانجل" مفتش البوليس السري، وقد بعثت إلى المسيو "ماركين" القوميسير لأخبره بالأمر .

فسار "دور جيفال" مع المفتش إلى مكتب القوميسير، وهو على مسافة قليلة من حلبة السباق، وكانا على بعد حوالي ١٥٠ سنتيمترا منه عندما اعترض سبيل المفتش رجل قال له في عجلة:

- لقد اعترف اللص سارق الساعة على شركائه، ونحن إثر عصابة كبيرة ، ولذلك يرجوك مسيو "ماركين" أن تنتظره عند مكاتب المراهنة وأن تراقب النافذة الرابعة.

كان أمام نوافذ المراهنة جمع حاشد فغمغم المفتش "ديلانجل":

- ما هذا الترتيب السخيف؟. ومن الذي ينبغي أن أراقبه ؟ .. آه! هذا شخص يشبه مسيو "ماركين" .. ولكنه ليس هو !

وراح يدفع بكلتا يديهِ حشداً من الجمهور كان مزدحما حوله ثم استطرد:

- يا إلهي ! . يجب أن يستعمل المرء ذراعيه هنا وأن ينتبه تماما إلى حافظة نقوده .. فبهذه الطريقة نشلت ساعتك يا مسيو "دور جيفال" .

- إنني مازلت لا أفهم كيف ..

- آه لو علمت كيف يعمل هؤلاء الأفاضل!. فإن الإنسان لا يعرف أبدا خطوتهم التالية.. فترى أحدهم بطا قدمك بعنف، والثاني يدفع عصاه في عينك .. بينما ينشل الثالث ما في جيبك دون أن تدري .. لقد وقعت أنا نفسي ضحية هؤلاء الخبثاء من قبل..

تمهل المفتش لحظة ثم أردف في حنق :

- ولكن أما لوقوفنا هنا من آخر ؟. إن الزحام لا يطاق ..

آه !.ها هو ذا مسيو "ماركين" يشير إلينا .. لحظة واحدة من فضلك.. وانتظرني هنا مطمئنا .

مضى المفتش وهو يدفع الجماهير بمنكبيه و"نيكولاس دورجيفال" يتبعه ببصره حتى إذا ما اختفى عن عينيه انتحى جانبا من الطريق بعيدا عن الزحام ووقف ينتظر .

مضت بضع دقائق، وكان الشوط السادس قد أوشك أن يبتدىء، عندما رأى "دور جيفال" زوجته وابن أخيه يبحثان عنه فأخبرهما أن المفتش ذهب ليرتب الأمر مع القوميسير .

فسألته امرأته : أمازالت النقود معك ؟

- بالتأكيد .. لقد كنا على حذر، أنا والمفتش، حتى لا يزدحم

الجمهور حولنا.

وتحسس سترته من الخارج، ثم أطلق صرخة مبحوحة .. ودفع يده في جيبه وبدأ يغمغم بعبارات غير مفهومة..

بينما روعت مدام "دورجيفال" فلهثت :

- ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟.

فاه الرجل أنينا موجعا وهو يقول :

- لقد سرقت ! .. حافظة نقودي؟. ضاعت الأوراق الخمسون !

فصاحت : لا .. ليس ذلك صحيحا .. قل . .

إنه ليس بصحيح !.

- بل صحيح .. إنه المفتش اللعين .. لقد كان لصا بارعا .. إنه الرجل.

وعندئذ راحت مدام "دور جيفال" تستغيث في صرخات مرتفعة :

- إلى اللص !.. إلى اللص ! . لقد سرق زوجي!.

خمسون الف فرنك!. يا للدمار الذي لحقنا!

- إلى اللص!.

وفي لحظة واحدة كان رجال البوليس يحيطون بهم ويقودونهم إلى مكتب القوميسير.. و"دورجيفال" مطاطئ الرأس كالحمل وقد استبد به الذهول .. بينما مضت زوجته في الصياح باعلى صوتها:

- ابحثوا عنه .. امسكوه .. ثوب أسود ولحية مدببة ..

آه !. يا للشقي . لقد سلبنا خمسين ألفاً . ماذا ؟ "دورجيفال" .. ماذا تصنع ؟.

ألقت بنفسها على زوجها دفعة واحدة .. ولكن واأسفاه .. لقد تأخرت. فإن "دور جيفال" وضع فوهة المسدس على صدغه وضغط الزناد .. فدوى الطلق، وسقط الرجل، ومالبث أن أسلم الروح ..

* * *

ولا ريب أن القراء لم ينسوا الضجة التي أقامتها الصحف لهذا الحادث، ولا كيف ، انتهزت الفرصة لتنحي باللائمة على رجال البوليس واتهامهم بالتهاون والإهمال .. فليس مما يقبله العقل أن يجرؤ نشال على انتحال شخصية، مفتش البوليس في وضح النهار وبين الجماهير في محل عام، ثم يسلب رجلا محترما نقوده فيدفعه إلى الانتحار، ويبقى بعد ذلك بمنأى عن العقاب .. .

ظل الحادث ماثلا في الأذهان بفضل دأب مدام "دور جيفال" على الشكوى، والأحاديث التي كانت تدلي بها إلى الصحف في كل مناسبة.. وكان أحد مخبري المجلات قد استطاع أن يلتقط لها صورة بجوار جثة زوجها وهي ترفع ذراعها مقسمة على الثأر لمقتله، بينما كان "جبرييل" إلى جانبها، والغضب يتبدى في أساريره الشاحبة، وهو الآخر يغمغم بعزم قوي مقسما بأغلظ الأيمان أن يتبع القاتل ويقبض عليه يوما ما.

ووصفت الصحف المسكن العادي الذي يقيمون به في "الباتنيول" فقد فتحت إحدى الجمعيات باب الاكتتاب لجمع ما يعين الأرملة وابن أخ زوجها الراحل على العيش ..

أما "ديلانجل" الغامض فقد ظل مجهولا دون أن يهتدي أحد إلى أثره.. واعتقل البوليس رجلين وما لبث أن أطلق سراحهما .. كما أنه اقتفى بعض الآثار، ولكنها لم تؤد به إلى نتيجة ما وذكرت بعض الأسماء ثم أهمل شأنها ..

وأخيرا .. لم يجد البوليس إلا أن ينسب الحادث إلى "أرسين لوبين" . أثار هذا الاتهام اللص الظريف فبعث ببرقيته المشهورة من نيويورك بعد ستة أيام من وقوع الحادث :

«أحتج بشدة على الافتراء الشنيع الذي يلجأ إليه البوليس ليستر خيبته وأبعث بعزائي القلبي إلى الضحايا التعساء .. وقد أمرت مصرفي بباريس بأن يدفع لهم خمسين ألف فرنك الإمضاء "لوبين" ..

والواقع انه في اليوم التالي لنشر هذه البرقية تقدم شخص مجهول إلى مدام "دور جيفال" وسلم إليها غلافا يحتوي على خمسين ورقة من ذات الألف فرنك .

كانت هذه الحركة المسرحية كفيلة بان تضع حداً لهياج الراي العام لولا أن حادثا آخر وقع بعد قليل فاثار ضجة وانفعالا شديدين.

فبعد يومين استيقظ جيران مدام "دور جيفال" في الساعة الرابعة من الصباح على صراخ مروع وصيحات استغاثة هائلة.. فاندفعوا نحو مسكنها، واستطاع البواب أن يقتحم الباب، كما أحضر أحد السكان مصباحاً رأوا على ضوئه "جبرييل" ملقى في حجرته، موثق اليدين والقدمين وقد سد فمه بكمامة كبيرة بينما كانت مدام "دورجيفال" في الحجرة المجاورة طريحة على الأرض والدماء الغزيرة تنزف من جرح عميق في صدرها .. وهي تغمغم في صوت خافت قبل أن تفقد الوعي :

- النقود .. لقد سرقت .. لقد أخذ النقود جميعها ..

فما الذي حدث ؟

قال "جبرييل" – واتمت مدام "دور جيفال" رواية القصة بمجرد أن استطاعت الكلام- إنه استيقظ بغتة فوجد رجلين يهاجمانه وسرعان ما كان أحدهما يحكم وثاقه بينما راح الآخر يحشو فمه بهذه الكمامة.. ولم يستطع رؤية الرجلين في الظلام ولكنه سمع صوت النضال الذي نشب بينهما وبين عمته في الحجرة المجاورة، وكان نضالا مروعا، كماوصفته مدام "دور جيفال" .. فقد مضى الوغدان مباشرة إلى الدولاب الصغير الذي تحفظ فيه النقود، ولا ريب انهما كانا يعرفان مكانها بإلهام عجيب، فسرقاها على الرغم من مقاومتها وصيحاتها المتوالية.. فلما أوشكا أن يرحلا استطاعت أن تعض أحدهما في ذراعه عضة شديده وعندئذ أخرج سكينا فطعنها بها.. ثم ركنا إلى الفرار.

سئلت عن الطريق الذي سلكاه في فرارهما فاجابت :

- لقد خرجا من باب حجرتي ثم من باب الردهة فيما أظن ..

- محال .. وإلا لأحس البواب بهما.

كان السر كله يقبع في هذا : كيف استطاع الجانيان أن يدخلا المنزل ويغادراه؟ . إذ لم يكن أمامهما منفذ يمكن أن يتسللا منه .. فهل هما من سكان المنزل ؟.

ولكن التحقيق الدقيق الذي قام به البوليس أسفر عن خطل هذا الرأي .. فماذا إذن؟

وعهد إلى المفتش "جانيمار" بتحقيق القضية ولكنه اعترف بانه لم يرقط حادثا في مثل هذا الغموض" .. وقال :

- إن هذه الفعال تشبه ما ياتيه "ارسين لوبين" .. ومع ذلك فإنه ليس هو .. كلا .. لا ريب أن هناك شيئا أكثر مما تراه العين، شيئا يدعو إلى الريبة والشك .. ولو فرضنا انه "لوبين"، فلماذا ياخذ النقود التي أرسلها بمحض رغبته للأرملة ؟ ثم إن ثمة سؤالا محيرا .. ما العلاقة بين هذا الحادث والسرقة الأولى التي جدثت في نادي السباق ؟.

إن الأمر كله يحيطه غموض عجيب، وإن قلبي ليحدثني اننا لن نجني فائدة من البحث .. ولذلك فإني أنسحب من القضية.

ولكن قاضي التحقيق مضى في البحث والاستقصاء بهمة لا تعرف الكلل .. وتضافر مخبرو الصحف مع رجال البوليس وبذلوا جهودا خارقة في التنقيب عن الآثار التي تهديهم إلى المجرمين .. وأحضر عبر القنال أحد الكلاب البوليسية الإنجليزية المشهورة.. وأعرب أحد الأثرياء الأمريكيين وهو رجل يعشق القصص البوليسية، عن استعداده لدفع جائزة كبرى لأول من يرشد إلى الحقيقة.

ومع ذلك فقد مضت ستة أسابيع دون أن يتقدم التحقيق خطوة واحدة حتى اضطر الجمهور إلى قبول رأي "جانيمار" ..

ووجد قاضي التحقيق نفسه يتعثر فى ظلام حالك يزداد كثافة يوما

بعد يوم، فطوى أوراقه وترك للبوليس أن يبحث عن الجانيين.

ومضت الحياة على وتيرتها مع أرملة "دور جيفال" وشفيت من جرحها بفضل عناية "جبرييل" بها. وقيامه على تمريضها.. كان يجلسها في الصباح على مقعد مريح بالقرب من النافذة ثم يتولى تنظيف الحجرات، ويخرج لابتياع ما يلزمهما، ويعود ليطهو طعامهما دون أن يقبل حتى المعاونة التي كانت زوجة البواب تعرضها عليه في إلحاح.

تضايقت الأرملة وابن أخي زوجها من كثرة ما يرهقهما به البوليس من الأسئلة. ومن انكباب مندوبي الصحف عليهما في طلب الأحاديث المختلفة حتى رفضا مقابلة أحد رفضا باتا .. بل إنهما لم يسمحا بالدخول حتى لحارسة الباب التي كانت ثرثرتها تبعث السأم والضيق في نفس مدام "دور جيفال".

ولكن الحارسة راحت تقلق "جبرييل" بهواجسها وتعترضه كلما مر بحجرتها في أثناء ذهابه ومجيئه قائلة :

حذار يا مسيو "جبرييل" .. فإن هناك من يتجسس عليكما ، وقد رأيت رجالا يراقبونكما .. بل إن زوجي شاهد ليلة أمس شخصا يحدق إلى نوافذ مسكنكما ..

- هراء ! فكل شيء على ما يرام .. ولا ريب أنه البوليس يسهر على حمايتنا ..

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام نشب شجار عنيف بين اثنين من باعة الفاكهة في الطريق فغادرت الحارسة حجرتها لتصغي إلى السباب الذي يتبادله المتشاجران ، ولكن ما كادت تدير ظهرها حتى تسلل إلى المنزل شاب متوسط القامة أنيق الثياب وأسرع يرتقي الدرج.. فلما بلغ الطابق الثالث قرع الجرس ثم أعاد الكرة إذ لم يتلق ردا .. وفي المرة الثالثة فتح الباب وبدا "جبرييل" خلفه .. فنزع الرجل

قبعته وهو يسأل :

- مدام "دور جيفال" ؟

- إن مدام "دور جيفال" مازالت مريضة ولا تستطيع أن تقابل أحدا ..

- ولكن الأمر من الأهمية بحيث ينبغي أن أتحدث إليها ..

- إنني ابن أخي زوجها وربما كان في وسعي أن أبلغها ما تشاء..

- حسنا .. أرجو أن تخبر مدام "دور جيفال" أن بعض الظروف قد أمدتني بمعلومات ثمينة عن حادث السرقة الذي قاست كثيرا بسببه ، وإنني احب أن أبحث المسكن قليلا ، واتحقق من بعض الشكوك التي تساورني .. كما إنني معتاد هذا النوع من البحث وسوف تؤدي زيارتي إلى نتائج ذات قيمة لا تقدر .

فتفرس "جبرييل" في الزائر ثم أخلد إلى التفكير لحظة ، وما لبث أن قال :

- اعتقد أن عمتي لن ترفض مقابلتك في هذه الحالة .. هل لك أن تتفضل بالدخول ؟

وفتح باب حجرة المائدة وتنحى قليلا ليسمح للزائر بولوجها قبله ، فسار الرجل إليها ولكن في اللحظة التي وضع فيها قدمه في مدخلها رفع "جبرييل" ذراعه بحركة خفيفة وعاجله بطعنة من خنجره في كتفه اليمنى .

وعندئذ دوت قهقهة مدام "دورجيفال" وهي تنهض من مقعدها في ركن الحجرة هاتفة : مرحى يا "جبرييل" .. لقد أجدت مهمتك .. ولكنك لم تقتله أليس كذلك ؟

- لا أظن ذلك يا عمتي .. فإن الخنجر صغير ولم أطعنه بشدة..

كان الرجل يترنح وهو يمد ذراعيه أمامه وقد امتقع وجهه حتى حاكى وجوه الأموات ..

فاستطردت الأرملة : يالك من مغفل! هانتذا قد وقعت في الفخ أخيرا

.. أليس ذلك عملاً باهراً ؟. لقد لبثنا نبحث عنك وننتظرك وقتا طويلا .. وها قد أتيت يا صديقي العزيز ... آه !.. لعلك لا تبالي بذلك .. ولكنك لن تستطيع دفع الكارثة عنك .. حسنا .. هانتدا تسقط على الأرض .. آه لو استطاع "دور جيفال" المسكين أن يراك في هذه الحال!. والآن هيا إلى العمل يا "جبرييل" .

وذهبت إلى حجرتها ففتحت دولابا تكدست فيه الثياب فأزاحتها جانبا ودفعت ظهر الدولاب قليلا وإذا بباب يؤدي إلى حجرة أخرى في المنزل المجاور ..

- ساعدني على حمله يا "جبرييل" .. وسوف نتولى تمريضه بأحسن ما نستطيع .. لأن هذا الوغد يساوي وزنه ذهبا بالنسبة إلينا .. .

* * *

تتتابعت الساعات والأيام بعضها في إثر بعض ...

وذات صباح استعاد الجريح شعوره قليلاً ففتح عينيه وأجال النظر حوله .. وكان يرقد في حجرة أكثر سعة من الحجرة التي أصيب فيها، ذات أثاث عادي يتناثر في أنحائها، وقد غطيت نوافذها بستائر ثقيلة تتدلى إلى الأرض .. ولكن الضوء كان كافيا لأن يستطيع رؤية الفتى "جبرييل "دور جيفال" جالسا بجواره يراقبه .. فغمغم :

- أهذا أنت أيها البطل الصغير ؟. أهنئك يا بني فإن لك يدا ثابتة في استعمال الخنجر بما يبشر بمستقبل باهر ..

ثم غشيته الحمى ثانية..

وفي ذلك اليوم والأيام التالية كان يستفيق عدة مرات وفي كل منها يرى الغلام بوجهه الشاحب وشفتيه الرقيقتين وعينيه السوداوين وهو ينظر إليه في حدة .. فقال له مرة :

- إنك تخيفني يا بني .. وإذا كنت قد أقسمت على أن تقضي علي فلا تقف هكذا في صرامة واكتئاب، بل ابتسم قليلاً بحق السماء ..

فإنني شخص كانت فكرة الموت تبدو لي كابهج شيء في الوجود .. ولكنك بمظهرك هذا تجعله يلوح لي بشعا مخيفا!.. ولذلك افضل أن انام ثانية .. طابت ليلتك يا بني ..

ومع ذلك فقد استمر "جبرييل" على تمريضه بكل ما في وسعه من عناية وانتباه.. وزالت الحمى عن المريض وبدأ يستعيد قواه ويتناول قليلا من اللبن والحساء .. فقال للفتى :

- متى يستطيع المريض الناقه أن يقوم من فراشه؟ وهل أعددت لي المقعد ذا العجلات يا بني؟. آه .. ابتسم قليلاً أيها الغبي فانك تبدو كزهرة ذابلة.

ولكن عندما استيقظ ذات يوم أحس بشعور غريب يتملكه وهو يجد نفسه لا يستطيع الحراك كعادته .. فبذل جهدا قليلا ليرفع يديه وإذا به يجد أن ذراعيه وساقيه وصدره قد اوثقت إلى الفراش باسلاك من الصلب الرفيع كانت تحز في جسمه لأقل حركة حزاً اليما، فقال لحارسه :

- آه !.. إنها اللعبة الكبرى هذه المرة! . وها هي ذي الدجاجة تعد للذبح!. ولكن هل أنت مولع بالعمليات الجراحية أيها الملاك "جبرييل"؟. إذ كان الأمر كذلك فإني أرجو أن يكون المبضع نظيفا مرهفاً .. ولا تنس أن تعقمه من فضلك !.

ولكنه كف برهة إذ سمع المفتاح يدور في القفل ورأى الباب المقابل يفتح وتبدو منه مدام "دور جيفال"، فقال :

- يالله!. إن الجنس اللطيف يشترك في العمليات الجراحية أيضا!. مدام "دور جيفال" ، أعتمد عليك في الا يصيبني تشويه بالغ ..

- امسك لسانك يا "لوبين" ..

- آه!.. أتعرفين ذلك؟ .. تالله ما أشد براعتك !.

- امسك لسانك يا "لوبين" .. بدت فى صوتها نبرة آمرة أثرت في

الأسير فجعلته يخلد إلى الصمت، ويتفرس في حارسيه كل بدوره .. وكان وجه مدام "دور جيفال" المتورم الارجواني لا يتناسب مع وجه فتاها الشاحب النحيل وإن لاحت في كليهما أمارات العزم الراسخ .

ومالت الأرملة إلى الأمام وهي تقول :

- هل أنت على استعداد للإجابة عن أسئلتي؟

- ولم لا ؟

- إذن أصغ إلي .. كيف علمت أن "دور جيفال" كان يحمل هذه النقود في جيبه ؟

- من ثرثرة الخدم!!.

- أهو ذلك الفتى الخادم الذي كنا نستخدمه ؟

- نعم .

- وهل نشلت ساعة "دور جيفال" لتعيدها إليه ثانية حتى يركن إليك ويثق بك ؟

- نعم ..

فاستبد الغضب بالأرملة وراحت تصيح في انفعال : أيها الأحمق .. أتسرق زوجي وتسوقه إلى الانتحار ثم لا تذهب إلى اقصى الأنحاء لتختفي عن الأنظار، بل تظل تمثل دورك في قلب باريس؟ أنسيت أنني اقسمت أمام جثة زوجي المنكود أن ابحث عن قاتله حتى أجده؟

- هذا هو ما يحيرني .. فكيف ارتبت في ؟

- كيف؟. إنك أنت الذي وشيت بنفسك .

- أنا فعلت ذلك؟

- بلا ريب .. أنسيت الخمسين الف فرنك؟

- وماذا بشأنها؟ . لقد كانت هدية مني.

- أجل .. هدية أبرقت بإرسالها إلي لتوهم الناس انك كنت في أمريكا يوم الحادث!. يالها من مهزلة !.

الواقع أنك لم تشأ ان تفكر أبدا في التعس الذي أوردته موارد الهلاك ولذا أعدت النقود إلى أرملته علنا لأنك تحب مثل هذه الأعمال المسرحية الرنانة الطنانة .. وقد كانت فكرة موفقة حقا .. ولكنك يا صديقي العزيز اخطأت، إذ بعثت إليّ بنفس الأوراق المالية التي سرقت من "دور جيفال" !. نعم أيها المغفل .. نفس الأوراق، ولا شيء غيرها!. لقد كنا، انا "ودور جيفال"، نعرف أرقامها .. ولكنك كنت من الغباء بحيث أرسلتها هي بعينها إلي .. أفهمت الآن مبلغ حمقك؟.

فضحك "لوبين" وقال :

- إنني أعترف بانه كان خطأ شنيعا ..

غير أني لست مسؤولا عنه .. فقد أصدرت أوامر أخرى .. ولكني على أية حال لا الوم أحدا سواي .

- إذن فانت تعترف بخطئك؟. لقد وقعت وثيقة اعترافك بالسرقة وفي نفس الوقت وقعت وثيقة دمارك .. وبذلك لم يكن أمامي إلا أن أعثر عليك .. ولكن لا .. هناك ما هو افضل من ذلك .. فإن العقلاء لا ينتظرون حتى يعثروا على "لوبين"، ولكنهم يجعلونه ياتي إليهم بنفسه.. وقد كانت هذه أعظم خدعة إنطلت عليك .. والفضل في ذلك لـ "جبرييل" الذي يمقتك أكثر مني، إذا صح أن هناك من يفوقني مقتا لك .. فهو يعرفك تماما، مما كتبته الصحف عنك، ويعرف طبيعتك التي تبحث عن كل شيء غامض تحار فيه الأفهام، وحاجتك إلى التامر دواما وولعك الجنوني بالصيد في الظلام، وشغفك بحل الطلاسم التي يعجز غيرك عن فك رموزها، ورقة شعورك المفتعلة التي تجعلك تريق دموع التماسيح على ضحاياك.. فاعد "جبرييل" كل شيء في تلك المهزلة.. وابتدع قصة اللصين والسرقة الثانية للخمسين الف فرنك.. آه !. إنني أقسم لك بحق السماء أن الطعنة التي أحدثتها بنفسي لم تسبب لي أي الم .. وأقسم لك ايضا اننا أمضينا أنا والغلام، وقتا مجيدا في

انتظارك ونحن نتلصص من النوافذ على أعوانك الأغبياء وهم يقبعون أمام المنزل .

ولم يكن ثمة أي احتمال للخطأ .. فقد كان يتعين عليك أن تأتي .. أفكنت تصبر على أن ترى الخمسين ألفا التي أعدتها إلى الأرملة "دور جيفال" يسلبها غيرك منها بعد ذلك ؟ كان يتعين عليك أن تأتي، تجذبك رائحة هذا السر الغامض .. وكان يتعين عليك أن تأتي مدفوعا بخيلائك ورغبتك في المباهاة والتفاخر.. وهانتذا قد أتيت!.

وراحت المرأة تضحك ضحكا وحشيا .. ثم استطردت :

- ألم تكن خدعة عظيمة حقا ؟. فها هو ذا "لوبين" بطل الأبطال .. "لوبين" العظيم الذي لا يقهر ولا يرى، يقع في فخ تنصبه له امرأة ! وغلام . ها هو ذا بلحمه وعظمه .. ها هو ذا موثق اليدين والقدمين، قليل الحيلة ضعيف الشأن، أقل خطرا من عصفور صغير .. ها هو ذا.. ها هو !!

كانت تهتز من الغبطة والابتهاج، فراحت تذرع الحجرة ذهابا وجيئة وهي تلقي على الفراش نظرات متوهجة كالوحش الكاسر الذي لا يحول بصره عن فريسته ... ولم ير "لوبين" طول حياته مثل هذا الحقد الوحشي في شخص من البشر قط .

وفجأة غمغمت المرأة :

- كفى ثرثرة ..

ثم عادت إليه لتقول في نبرات مختلفة وصوت أجوف وهي تضغط بشدة على مقاطع الكلمات:

- لقد استطعت أن أفيد من الأيام الاثني عشر الماضية يا "لوبين" بفضل الأوراق التي وجدتها في جيبك .. فعرفت كل شؤونك، وخططك، وأسمائك المستعارة، ونظام عصابتك والمساكن المختلفة التي تملكها في باريس وغيرها .. بل إنني زرت أحدها، وهو أشدها إمعانا في

السرية، إذ تخفي فيه أوراقك، وسجلاتك، وكل ما يتعلق بشؤونك المالية.. وكانت نتيجة هذا البحث باعثة على الرضا . فهاك أربعة شيكات أخذتها من دفاتر شيكاتك الأربعة وهي خاصة بحساباتك في أربعة مصارف بأربعة أسماء مختلفة .. وقد ملأت كلا منها بعشرة آلاف فرنك فقط، فإن مبلغاً أكثر من هذا أدعى إلى الريبة والتعرض للأخطار .. فوقع عليها.

فقال "لوبين" في سخرية:

- لعمري يا عزيزتي مدام "دور جيفال" أن هذا ابتزاز بالتهديد..

- أهذا يدهشك؟

- إنه يثير دهشتي حقا .

- وهل وجدت خصما يكافحك يا "لوبين" ؟

- بل إنه يفوقني بمراحل .. إذن فإن الفخ - ولنسمه الفخ الجهنمي - الذي سقطت فيه لم تنصبه أرملة موتورة تريد أن تثأر لزوجها فحسب، بل امرأة أعمال من الطراز الأول تعمل على تنمية ثروتها؟

- تماما ..

- لك كل تهانئي .. وريثما أفكر في الأمر دعيني أسألك سؤالا.. هل كان مسيو "دور جيفال" من أرباب المهنة ؟؟

- لقد أصبت يا "لوبين" .. ولست أرى ما يدعو لإخفاء الحقيقة عنك.. فذلك قد يريح ضميرك قليلا أجل لقد كان "دور جيفال" يمتهن نفس المهنة التي تقوم بها أنت، ولكن على نطاق ضيق، فقد كنا أناسا متواضعين .. جنيه من هنا وجنيه من هناك .. وكيس أو كيسان ينشلهما "جبرييل" في السباق بعد أن دربناه على ذلك .. وبهذه الطريقة استطعنا أن نكون ثروتنا المتواضعة وأن نشتري منزلا صغيرا في الريف..

- شد ما أتمنى أن أفعل ذلك أنا الآخر ..

- إن شاء الله ،، ولكني أخبرك بهذا لتعلم انني لست مبتدئة وانه ليس أمامك ما ترجوه .. الفرار؟ .. كلا ..

فهذه الحجرة تتصل بمخدعي ولها منفذ آخر لا يعرفه أحد .. لقد كانت حجرة "دور جيفال" الخاصة، حيث اعتاد ان يقابل أصدقاءه وأن يحفظ فيها آلاته ومعداته وأدوات تنكره .. وتليفونه أيضا كما ترى، وهكذا يحسن أن تتخلى عن كل امل في الفرار او النجاة .. أما أعوانك فقد كفوا عن البحث عنك هنا بعد أن أرسلتهم وراء أثر زائف لأضللهم.. لقد انتهى أمرك يا صديقي .. فهل أنت مدرك حقيقة موقفك؟ .

- نعم

- هل لك أن توقع الشيكات؟

- وهل يطلق سراحي إذا وقعتها؟

- يجب أن احصل على قيمتها أولا.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك أطلق سراحك .

- ولكنى لا أثق بك! ..

- وهل لك حق الاختيار؟

- هذا صحيح .. فهاتي الشيكات...

فحلت وثاق يده وقدمت له قلما وهي تقول :

- لا تنس أن الشيكات الأربعة تحتاج إلى أربعة توقيعات مختلفة وأن تبدل خطك في كل منها .

- لا تخشي شيئا ..

وناولها الشيكات فقالت :

- جبرييل" .. إنها الساعة العاشرة الآن، فإذا لم أعد حتى الثانية عشرة .. فمعنى ذلك أن هذا الوغد قد أوقع بي بإحدى ألاعيبه .. وعليك أن تحطم رأسه بالرصاص .. وإني أترك لك المسدس الذي انتحر به

عمك .. ومازالت به خمس رصاصات من الست، وهي كافية .

غادرت الحجرة وهي تترنم باغنية شائعة مبتذلة .. بينما غمغم "لوبين" :

- إنني ما كنت أعطي سنتيما واحداً ثمنا لحياتي ..

واغمض عينيه لحظة ثم قال لـ "جبرييل" : كم تريد؟

فلما لم يبد على الآخر ما يدل على الفهم استطرد في حنق.

- إنني اعني ما اقول .. فكم تريد .. الا تستطيع أن تجيبني .. إننا ابناء مهنة واحدة ..

فانا اسرق وانتم تسرقون .. ولذلك ينبغي أن نتفق .. وهذا هوعلة وجودنا هنا .. حسنا!..الا تقبل هذه المساومة .. الا تحب أن نبرح هذا المكان معا فاضمك إلى عصابتي وامنحك عملا سهلا كبير الأجر .. كم تريد لنفسك ..

عشرة آلاف .. عشرين الفا .. يمكنك أن تحدد الثمن كما تشاء لا تكن خجولا، فإنك لو سالتني لأعطيتك الكثير ..

ولكنه رأى وجه الفتى جامداً لا تختلج فيه عضلة فسرت رعدة الغضب في جسمه وصاح :

- إن هذا الجرو لا يعني حتى بالإجابة!. لماذا؟ إنك لا يمكن أن تكون مغرما بـ"دور جيفال" إلى هذا الحد ..

اصغ إلي يا بني إذا قبلت أن تطلق سراحي..

وما لبث أن كف عن إتمام عبارته إذ رأى في عيني الفتى تلك النظرة الوحشية التي عهدها منه ومن عمته، وعلم أن اية محاولة لتحريك شعوره ليست إلا عملا عقيما لا ثمرة له ..

وغمغم :

- لعنة الله عليهما .. ولكني لن اظل انبح هكذا ككلب حبيس، آه لو استطعت فقط أن..

وشد عضلاته وهو يحاول أن يمزق وثاقه في جهد جبار عنيف، ولكنه صاح في الم بالغ وارتمى ثانية على فراشه منهوك القوى .. وهو يتمتم :

– حسنا، إن الأمر كما قالت الأرملة. فقد انتهيت، وليس ثمة ما يمكن عمله .. واأسفاه عليك يا "لوبين".

مضى ربع ساعة .. ثم نصف ساعة..

واقترب "جبرييل" من "لوبين" فرأى عينيه مغمضتين وانفاسه هادئة منتظمة كرجل مستغرق في النوم، ولكن "لوبين" قال فجاة :

-لا تظن انني نائم أيها الشقي الصغير فإن الناس لا ينامون في مثل هذه اللحظة ولكني أعزي نفسي فقط..

إنني افكر فيما يحدث بعد الموت، فإن لي في هذا رأيا تافها .. وربما لا تستطيع أن تفهمه إذا ما نظرت إلي هكذا .. وإنني اعتقد في التناسخ وتقمص الأرواح، ولا تسالني ما هو فإن إيضاحه يحتاج إلى وقت طويل .. ولكني أقول يا بني : ما رايك لو تصافحنا قبل أن تفترق ؟ كلا؟..

وداعا إذن .. واتمنى لك عمرا طويلا وصحة وافرة يا "جبرييل".

واغمض عينيه ثانية ولم يتحرك من مكانه حتى عادت مدام "دور جيفال".

ودخلت الأرملة في خطوات خفيفة نشيطة قبل الساعة الثانية عشرة ببضع دقائق .. وكان يبدو عليها انفعال شديد وهي تقول لـ "جبرييل" .

– لقد حصلت على المال .. فأسرع وسوف ألحق بك في السيارة أمام الباب ..

– ولكن ؟.

– إنني لست في حاجة إلى مساعدتك في الإجهاز عليه.

ويمكنني أن أقوم بذلك بمفردي .. إلا إذا كنت تحب أن ترى كيف

يلفظ الأوغاد أنفاسهم الأخيرة !. هات المسدس..

فقدمه لها "جبرييل" بينما استطردت قائلة:

- هل أحرقت أوراقنا؟

- نعم .

- إذن إلى العمل .. وُعليك أن تمضي فور أن تنتهي هذه المهمة فسوف تثير الطلقات انتباه الجيران، ويجب أن يجدوا كلا المسكنين خاليين..

ثم ذهبت إلى الفراش وقالت : هل أنت مستعد يا "لوبين"؟

- مستعد ليست الكلمة المناسبة .. إنني أُتحرق شوقا ..

- أليس لك ما تطلبه؟

- إذن فإني ..

- لا شيء

- آه .. كلمة واحدة فقط ..

- ما هي ؟

- أليست لديك رسالة تبعثين بها إلى "دور جيفال" إذا ما قابلته في العالم الآخر.

فهزت كتفيها ثم وضعت فوهة المسدس على صدغ "لوبين" بينما كان هذا يقول :

- تماما .. ولكن حاذري أن ترتعد يدك يا سيدتي العزيزة .. فلست أريد أن يصيبك أي ضرر .. هل أنت على استعداد؟ .. حسنا .. واحد .. اثنين .. ثلاثة ..

وضغطت الأرملة الزناد .. فانبعث من المسدس دوي أجوف .. وفتح "لوبين" عينيه وهو يقول :

- أهذا هو الموت ؟ يا لله .. لقد ظننته شيئا يختلف عن الحياة!

وأطلقت الأرملة المسدس مرة أخرى على غير جدوى فاختطفه

"جبرييل" منها وراح يفحصه ثم قال :

- آه!. لقد نزع الرصاص منه ولم يبق فيه إلا الخرطوش الفارغ...

وقفت الأرملة والفتى بلا حراك برهة وأخيراً صاحت المرأة:

- محال!. من الذي فعل ذلك ؟ أهو أحد المفتشين .. أم قاضي التحقيق؟

توقفت بغتة ثم قالت في صوت خافت :

- صه!.. إنني أسمع أصواتا..

فارهفا السمع قليلا، ومضت المرأة إلى الردهة ثم عادت أشد ما تكون حنقا وغضبا لفشلها وللخوف الذي استبد بها وهي تقول :

- لم أجد أحداً .. ولا ريب أنهم الجيران يحدثون هذه الضجة في أثناء خروجهم .. ولا يزال الوقت متسعا أمامنا .. آه !.. هل بدأ السرور يداخلك يا "لوبين"؟.. إلي بالخنجر يا "جبرييل"!.

- إنه في حجرتي .

- اذهب وأحضره..

فاسرع "جبرييل" بالخروج بينما كانت المرأة تنتفض غضبا! قائلة:

- لقد اقسمت على ذلك، وسوف تتالم أيها الصديق العزيز.. فقد اقسمت لـ "دور جيفال" أن افعل ذلك، كما كنت أردد قسمي في كل صباح ومساء وأنا راكعة أمام الله الذي يصغي إلي ، إنه واجبي، وحقي، أن أثار لزوجي الراحل، وبهذه المناسبة لماذا غادرك المرح؟.. يا إلهي! .. إن المرء ليعتقد أن الخوف قد استبد بك، آه !. إنه خائف!.. وإنني لأرى ذلك في عينيه، تعال يا"جبرييل" .تعال يابني وانظر إلى عينيه، وإلى شفتيه، إنه يرتعد، اعطني الخنجر حتى أغمده في قلبه وهو يرتجف هلعا وفرقا.. آه! أيها النذل الجبان!.. أسرع بالخنجر.. فقال الفتى وهو يهرع في العودة مرتاعا :

- إنني لم أجده .. ولا ريب أن أحدا أخذه من حجرتي.

فصاحت الأرملة وقد جن جنونها:

- لا بأس!. لا بأس!.. فسوف أخمد أنفاسه بيدي .

وانقضت على "لوبين" فانشبت أصابعها العشرة في عنقه وهي تغرس أظفارها في لحمه، وراحت تضغط بكل قواها.. فارسل المنكود صيحة مبحوحة وقد أيقن بالهلاك.

وبغتة دوى صوت تحطيم إحدى النواقذ وتناثر شظايا الزجاج في الهواء ..

فارتدت الأرملة إلى الخلف وهي تصيح في ارتياع :

- ما هذا؟ . ما هذا ..؟

كان "جبرييل" قد ازداد شحوبا وامتقاعا فغمغم:

- لا أدري .. إنني لم أر شيئا ؟

- ولكن .. من الذي فعل ذلك ؟

لم تجرؤ الأرملة على أن تخطو خطوة واحدة، وتسمرت في مكانها وهي تنظر ما يأتي بعد ذلك.. ولكن شيئا واحدا ملأها فزعا وهلعا إذ لم تر على الأرض حولهم قطعة واحدة من الزجاج المحطم مع أن النافذة قد تحطمت على أثر قذفها بجسم ثقيل كبير .. كقطعة من الحجر مثلا.

وبعد لحظة راحت تنظر تحت الفراش وخلف المقاعد ثم قالت : لست أرى شيئا..

فقال "جبرييل" وهو ينقب في الحجرة بدوره : ولا أنا .

فالقت بنفسها على أحد المقاعد وهي تلهث قائلة :

- رباه!. إنني خائفة.. ولست أجد في يدي قوة..

أجهز عليه أنت يا "جبرييل"

فاعترف بخوفه هو الآخر.. فا ستطردت :

- ولكن . ولكن .. يجب أن يموت .. لقد أقسمت .

وبذلت جهداً أخيراً ثم عادت إلى "لوبين" فامسكت بعنقه بين أصابعها المتوترة المرتعدة، ولكنه كان يراقب وجهها الممتقع فخامره يقين ثابت أنها لن تجد في نفسها الشجاعة والقدرة على الفتك به . فقد غدا بالنسبة إليها شيئا مقدسا مصونا لا تستطيع أن تقضي عليه أو تمسه بسوء، وكان قوة خفية تحميه من أي عدوان، قوة انقذته ثلاث مرات حتى الآن بطرق غامضة، ولاريب أنها ستجد وسائل أخرى لإنقاذه من الموت .

واخيرا قالت في صوت متحشرج :

- لا ريب أنك تسخر مني الآن!.

- لا وايم الحق . ولو كنت في مكانك لداخلني الرعب أنا الآخر..

- هراء أيها الجرو الحقير!... أتظن أنك ستنجو من يدي؟ .. وهل يجول بخاطرك أن أعوانك ينتظرون في الخارج؟. شد ما تخطئ في هذا يا صديقي.

- أعلم ذلك .. فليس أعواني هم الذين يدافعون عني ..

بل إن أحدا من البشر لا يدافع عني الآن.

- إذن ؟.

- هناك معجزة خارقة يحار فهمي في معرفة كنهها..

وشيء غامض غريب يبعث القشعريرة إلى جسمك اللدن يا سيدتي الجميلة!.

- أيها الشقي!.. سوف تضحك في العالم الآخر عما قريب!..

- إنني أشك في ذلك ..

- انتظر وسترى..

وفكرت برهة ثم قالت لـ "جبرييل" :

- ماذا عساك تصنع لو كنت في مكاني ؟

- أوثق يده ثانية ونتركه ثم نرحل ..

وكان الاقتراح مروعا .. ومعناه أن يقضى على "لوبين" بالموت في أبشع صورة .. الموت جوعا .. فقالت الأرملة:

- كلا .. فربما استطاع أن يجد وسيلة للهرب .. ولكني أعرف شيئا أحسن من هذا .. ومضت إلى التليفون فطلبت رقما، وبعد برهة قالت:

- ألو .. إدارة المباحث الجنائية!.. هل يمكنني أن اتحدث إلى المفتش "جانيمار" ؟.. أتقول إنه سيعود بعد عشرين دقيقة؟ .. واأسفاه.. ولكن يمكنك أن تبلغه هذه الرسالة من مدام "دور جيفال"، وأن تطلب إليه الحضور إلى مسكني .. وعليه أن يفتح دولاب الملابس الذي في حجرتي فيجد فيه منفذا سريا يؤدي إلى حجرتين آخريين .. وهناك سيلقى رجلا موثق اليدين والقدمين.

إنه اللص الذي سرقني مرتين .. والذي قتل "دورجيفال" ..

ألا تصدق ذلك؟.. أخبر مسيو "جانيمار" وسوف يصدقني هو .. أوه.. لقد كدت أنسى أذكر لك اسم الرجل ..

إنه "أرسين لوبين" .

وأعادت المسماع دون أن تضيف كلمة أخرى ثم قالت :

- والآن يا "لوبين" .. لقد استطعت أن أنال بغيتي وأثأر منك بهذه الطريقة .. وشدما يسرني أن أقرأ محاكمة "أرسين لوبين" !.. ألا تأتي يا "جبرييل" ؟

- نعم يا عمتي ..

- وداعا يا "لوبين"، فإننا لن نلتقي بعد ذلك، إذ سنغادر فرنسا إلى الخارج .. ولكني أعدك بأن أبعث إليك ببعض الحلوى في السجن...

- إنني أحب الشوكولاتة يا أماه ! ... وسوف نأكلها معا ....

- وداعا ..

- بل إلى اللقاء..

خرجت الأرملة والفتى تاركين "لوبين" موثقا في الفراش ..

فراح يحرك يده المطلقة وهو يحاول أن يفك قيوده، ولكنه سرعان ما تبين أنه لن يجد في نفسه المقدرة على قطع هذه الأسلاك الفولاذية المشدودة حوله .. وكان الجهد الذي بذله، والحمى التي نهشت جسمه طويلا، من الشدة بحيث لا يستطيع أن يفعل شيئا في الدقائق العشرين التي بقيت أمامه إلى حين وصول "جانيمار".

وما كان له أن يعتمد على أعوانه .. وإذا كان قد أنقذ من الموت ثلاث مرات حقا، فقد حدث ذلك بفضل سلسلة من الحوادث العجيبة لا إلى تدخل أحد من أعوانه .. وإلا لما قنعوا بهذه الفعال الشاذة ولاقدموا على إنقاذه بأية وسيلة ..

كلا.. لقد انقطع به حبل الأمل، وها هو ذا "جانيمار" في طريقه إليه، وسوف يجده على هذه الحال، نعم، لا مهرب ولا نجاة من القضاء المحتوم، ولا معدى ولا محيص من الأمر الواقع. ولكن هذا الأمر الواقع يزعجه ويضنيه بما لا مزيد بعده .. وها هي ذي ضحكات "جانيمار" خصمه القديم اللدود، الساخرة الشامتة تدوي في أذنيه، وها هي ذي عواصف الهزء والزراية التي ستقابل بها هذه الانباء في الغد تتراءى أمام عينيه .

ولو إنه أسر في أثناء العمل، أو بالأحرى في ساحة المعركة، بواسطة فصيلة من الخصوم الاقوياء لما كان له إلا أن يقابل ذلك في هدوء ودعة، أما أن يقبض عليه، بل يسقط في الفخ كاي غرابله ويوثق بالقيود، في مثل هذه الظروف، فذاك أمر آخر، وياله من امر ! فها هو ذا "لوبين" الذي طالما سخر من خصومه، يرى نفسه موضع سخرية لاذعة في تلك الخاتمة لقصة "دورجيفال"، إذ يسقط في الفخ الجهنمي الذي نصبته له أرملة، ليقدم بعد ذلك إلى البوليس، مجهزاً كأحسن ما يكون التجهيز، وكأنه صيد سمين أبدع طهيه..

فزمجر قائلا :

- لعنة الله على هذه المراة، ليتها قطعت عنقي وانتهى الأمر..

وعندئذ سمع صوتا خافتا، فارهف السمع، ولا ريب أن أحداً يتحرك في الغرفة، ترى هل هو "جانيمار" ؟ لا، فهو لا يستطيع الحضور في تلك الفترة الوجيزة مهما كانت لهفته، ثم إن "جانيمار" ما كان ليفعل هذا، ما كان ليفتح الباب في خفة ويتسلل إلى الحجرة كما يفعل هذا الشخص الآخر، ولكن من هو هذا الشخص ؟ وذكر "لوبين" الخوارق الثلاثة التي يدين لها بحياته، افمن المحتمل حقا أن يكون هناك من يحميه من الأرملة وأن يكون هذا الشخص قد قدم الآن لإنقاذه؟

وإذا كان الأمر كذلك فمن هو؟

وكان ذلك المنقذ المجهول منحنيا خلف الفراش، فسمع "لوبين" صوت المقراض وهو يقطع الأسلاك ويطلق إساره رويدا، فبدأ بصدره ثم ذراعيه ثم ساقيه.

واخيرا سمع صوتا يقول له :

- يجب أن تنهض وترتدي ثيابك .

فرفع "لوبين" نفسه قليلا في الفراش وقد أنهك الضعف قواه، بينما كان الغريب ينهض من انحنائه وهمس "لوبين" من أنت؟ من أنت؟

وعندئذ تملكته دهشة عقلت لسانه.

فقد رأى إلى جواره امرأة! امرأة ترتدي السواد وقد غطت رأسها بوشاح كبير يخفي جانبا كبيرا من وجهها ولكنه رأى بقدر ماوسعه، أنها امرأة شابة ذات قوام نحيل لا يخلو من رشاقة.

وعاد يقول:

- من أنت ؟

فاجابته المرأة :

- يجب أن تذهب الآن، فليس أمامك متسع من الوقت .

- وهل أستطيع القيام حقا ؟ إنني اشعر بضعف شديد

- أشرب هذا .

وسكبت قليلا من اللبن في أحد الأقداح ثم قدمته له، وفي ذلك الحين انفرج وشاحها قليلا وكشف عن وجهها .

فهتف "لوبين" :

- انت ؟ أهو

أنت حقا؟ أهو أنت التي..؟

وراح يحدق مشدوها في تلك المرأة التي كانت ملامحها تشبه "جبرييل" شبها عجيبا، ولها نفس الشحوب الذي يكسو وجهه وذات الشفتين المطبقتين في صرامة وعزم .. لا ، ليس من المعقول ان يبلغ الشبه بين أخت وأخيها إلى هذا الحد العجيب، كلا، إن هذه المرأة و "جبرييل" ليس إلا شخصا واحدا! لاريب في ذلك ولا شك، ولم يعتقد "لوبين" قط أنه "جبرييل" متنكرا في زي امرأة، وإنما ايقن انها امرأة حقا تلك التي تقف إلى جواره، وإن ذلك الغلام الذي كان يتبعه بحقده وكراهيته والذي طعنه بالخنجر، لم يكن إلا فتاة دفعها "دورجيفال" وزوجته إلى التنكر في زي الغلمان تسهيلا لعملهما.

وعاد يقول من جديد :

- أنت ؟ أنت ؟ من كان يظن ذلك؟

وأفرغت في القدح محتويات قارورة صغيرة وهي تقول :

- أشرب هذا الشراب المنعش .

فتردد "لوبين" برهة وقد جالت فكرة السم بخاطره، فاستطردت الفتاة محتجة:

- لقد كنت انا التي انقذتك .

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. أهو أنت التي أخرجت الرصاص من المسدس؟

- نعم .

- وانت التي أخفيت الخنجر ؟

- ها هو ذا .. إنه في جيبي..

- وانت التي حطمت زجاج النافذة بينما كانت عمتك المحترمة تخنقني .

- نعم . انا . بالثقل الحديدي الذي كان فوق المكتب، وقد القيته في الشارع .

فسالها في لهفة ودهشة :

- ولكن لماذا .. لماذا ؟

- اشرب هذا .

- الم تكوني ترغبين في موتي . إذن فلماذا بدات تطعنينني بالخنجر؟

- اشرب هذا .

فجرع القدح دفعة واحدة، دون أن يدري سببا لهذه الثقة التي تملكته بغتة . بينما كانت الفتاة تسير إلى النافذة وهي تقول:

- يجب أن تعجل بارتداء ثيابك.

فاطاع، وما لبث أن ارتمى في أحد المقاعد خائر القوى، فعادت إليه الفتاة وانحنت قليلا لتساعده على النهوض والاتكاء على كتفها، ثم سارت معه إلى المنفذ السري فرأى "لوبين" أمامه درجا راح يهبطه وهو ينقل خطواته كانه في حلم من تلك الأحلام التي تتوالى فيها الأحداث العجيبة.. حلم هو أشد ما يكون سعادة وغبطة بعد ذلك الكابوس المروع الذي عاش فيه خلال أسبوعين كاملين..

وخطرت له فكرة .. فبدأ يضحك قائلا :

- مسكين "جانيمار" .. إنه سيء الحظ حقا! لعمري إنني لأتوق إلى رؤيته وهو قادم للقبض عليّ فلما انتهى من هبوط الدرج بمعاونة

زميلته التي كانت تسنده في قوة غريبة، وجد نفسه في الطريق أمام إحدى السيارات .. فساعدته الفتاة على الصعود إليها وهي تامر السائق بالمسير.

وأثر الهواء النقي والسرعة التي يسيران بها في "لوبين" بحيث لم ينتبه إلى معالم الطريق الذي يسلكانه ولكنه استعاد حواسه جميعا دفعة واحدة عندما وجد نفسه في منزله، في أحد المساكن التي يشغلها وقد راح خادمه يعني به على اثر الأوامر الوجيزة التي املتها الفتاة عليه.

استدارت الفتاة لتنصرف ولكنه امسك بتلابيبها وهو يقول :

- كلا . كلا . يجب أن توضحي لي كل شيء أولا؟.

فلماذا أنقذتني . وهل عدت دون أن تعلم عمتك . ولكن لماذا أقدمت على المخاطرة بإنقاذي.. هل كان ذلك بدافع من الشفقة؟.

فلم تجب الفتاة، ورفعت إليه وجهها، ثم دفعت براسها إلى الخلف دون أن تزول عن أساريرها تلك الصرامة وذلك الغموض اللذان لازماها من مبدأ الأمر .. ومع ذلك فقد استطاع "لوبين" أن يرى على شفتيها لمحة من المرارة، بدلا من تلك القسوة التي كانت تبدو فيهما .. كما رأى في عينيها الجميلتين السوداوين، ظلا من الاكتئاب والياس، ولم يفهم "لوبين" كنه ذلك التبدل الذي انتابها غير إنه شعر بإلهام خفي بما يعتمل في قرارة نفسها .. فامسك بيدها .. ولكنها نحته عنها في عنف لم يدر إن كان عن مقت أو صدود .. فلما ألح صاحت :

- ألا تدعني أذهب . وهلا ترى أنني أمقتك؟

وراحا يتبادلان النظر لحظة و"لوبين" في حيرة من أمره، والفتاة ترتعد في قلق وقد كسا وجهها الشاحب تورد مفاجئ .

فقال في دعة:

- لو كنت تمقتينني حقا لتركتني أموت، فلماذا لم تفعلي ؟

- لماذا .. لماذا .. وكيف أعلم ؟

واغبر وجهها فاخفته بين يديها في عجلة، وعندئذ رأى الدموع تنساب من بين أصابعها.

فاستبد به التاثر، وهم بأن يحنو عليها كما يفعل المرء مع فتاة صغيرة يريد أن يسري عنها . وان ينقذها، بدوره، وينشلها من الوحدة التي تردت فيها ولعلها كانت مرغمة على السقوط فيها .

ولكن مثل هذه الكلمات ما كانت لتشير إلا صدى يبعث على الضحك، وهي تصدر منه. هو، ذلك الذي يتردى في نفس الوهدة .

ولم يدر ما يقوله الآن، بعد أن فهم القصة كلها، قصة الفتاة التي تقوم بتمريض الرجل الذي جرحته، فتعجب بمرحه وشجاعته ورباطة جاشه، فتتعلق به، وتحبه، ثم تعمل ثلاث مرات على إنقاذه من الموت، تدفعها إلى ذلك قوة غريزية دافقة خارجة عن إرادتها .

وكان ذلك كله عجيبا، لا يتوقعه "لوبين" بحيث أوهن من عزيمته فلم يسع لاحتجازها عندما مضت نحو الباب بظهرها دون أن تحول عينيها عنه .

خفضت راسها ثم انفرجت شفتاها عن ابتسامة خاطفة، واختفت عن نظره.

فقرع الجرس في عجلة، فلما جاء خادمه قال له :

- اتبع هذه المراة .. ولكن لا .. ابق حيث أنت .. فهذا افضل .

وظل برهة مهموما، وقد استحوذت على حواسه صورة الفتاة، ومضى يستعرض هذه المغامرة المثيرة العجيبة الأليمة التى كان فيها أقرب ما يكون إلى الفشل، ثم تناول مرآة صغيرة راح ينظر فيها إلى وجهه الذي لم ينل المرض والألم من حيويته وما لبث أن غمغم :

- إن للوسامة والمرح فائدة أحيانا! .

"تمت بحمد الله"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

وأن يكتب على الشيك عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١
٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦	٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١
٤٠	٣٩	٣٨	٣٧	٣٦	٣٥	٣٤	٣٣	٣٢	٣١
٥٠	٤٩	٤٨	٤٧	٤٦	٤٥	٤٤	٤٣	٤٢	٤١
				٥٦	٥٥	٥٤	٥٣	٥٢	٥١

الإسم : ______________________

العنوان : ______________________

ص.ب ______ المدينة : ______ الرمز البريدي : ______

الدولة : ______________________

برجاء تحرير شيكات مصرفية مسحوبة على أي مصرف في لبنان

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها
سارع في إرسال طلبك!

١	أرسين لوبين بوليس آداب	١٧	الباب الأحمر
٢	أرسين لوبين بوليس سري	١٨	البرنس ارسين لوبين
٣	الماسة الزرقاء	١٩	التاج المفقود
٤	ارسين لوبين رقم ٢	٢٠	الثعلب
٥	أرسين لوبين في السجن	٢١	الجائزة الأولى
٦	المعركة الأخيرة	٢٢	الجائزة الكبرى
٧	أرسين لوبين في موسكو	٢٣	الجاسوس الأعمى
٨	أرسين لوبين في قاع البحر	٢٤	الجثة المفقودة
٩	أرسين لوبين في نيويورك	٢٥	الجرائم الثلاثة
١٠	اسنان النمر	٢٦	الجريمة المستحيلة
١١	الميراث المشؤوم	٢٧	الجزاء
١٢	اصبع أرسين لوبين	٢٨	الجلاّد
١٣	لصوص نيويورك	٢٩	الخدعة الكبرى
١٤	اعترافات أرسين لوبين	٣٠	الخطر الأصفر
١٥	الإبرة المجوفة	٣١	الخطر الهائل
١٦	الإنذار	٣٢	الدائرة السوداء

٣٣	الرصاصة الطائشة	٥١	الغلاف الأزرق
٣٤	الرهان	٥٢	الفخ الرهيب
٣٥	الزمردة	٥٣	الفيل الأبيض
٣٦	الساحر العظيم	٥٤	القزم
٣٧	السر الرهيب	٥٥	القفاز الأسود
٣٨	السر في العين	٥٦	القفاز المسموم
٣٩	السر في القبعة		
٤٠	السهم القاتل		
٤١	السوق السوداء		
٤٢	الشريف		
٤٣	الصحفي المفقود		
٤٤	الصوت الغامض		
٤٥	الطائرة المحترقة		
٤٦	العقد المفقود		
٤٧	الغرفة الصفراء		
٤٨	الغرفة ٣٤		
٤٩	الغريقة		
٥٠	الغريمان		